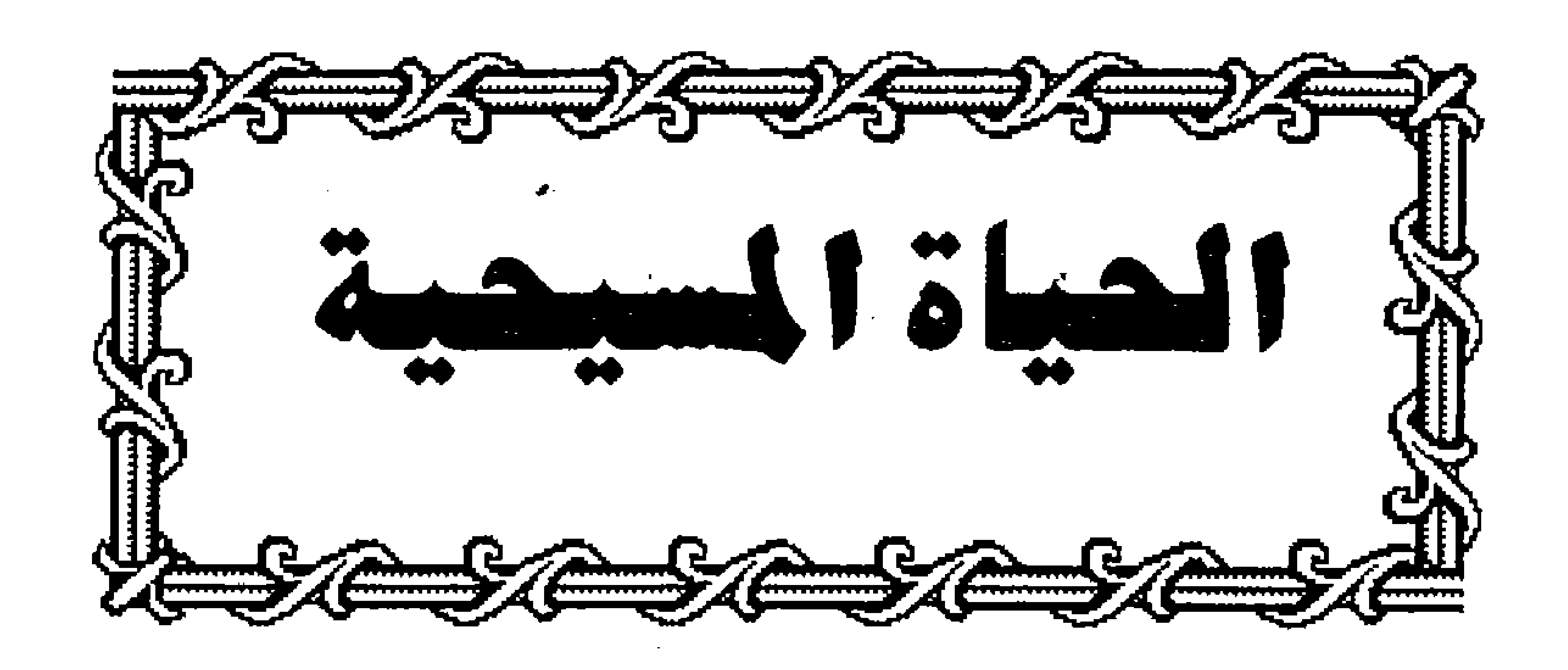

مكتبة المحبة
الحياة المسيحية
بقلم
القمص لوقا الأنطونى



بقلم

القمص لوقا الأنطونى

الكتــــــاب : الحياة المسيحية

المــــؤلــــف : القمص لوقا الأنطونى

الطبـــعـــة : الأولى ديسمبر ١٩٩٩

صـورة الغــلاف : بريشة الفنان مراد شيفيق ٤٤.١٥٣

الجمع التصـويرى : دار القديس يوحنا الحبيب

١ شارع تيمور - سانت فاتيما

مصر الجديدة - تليفون : ٢٤٤٨٦٧٢

رقــم الإيــداع : ٩٩/١٧/٢٩

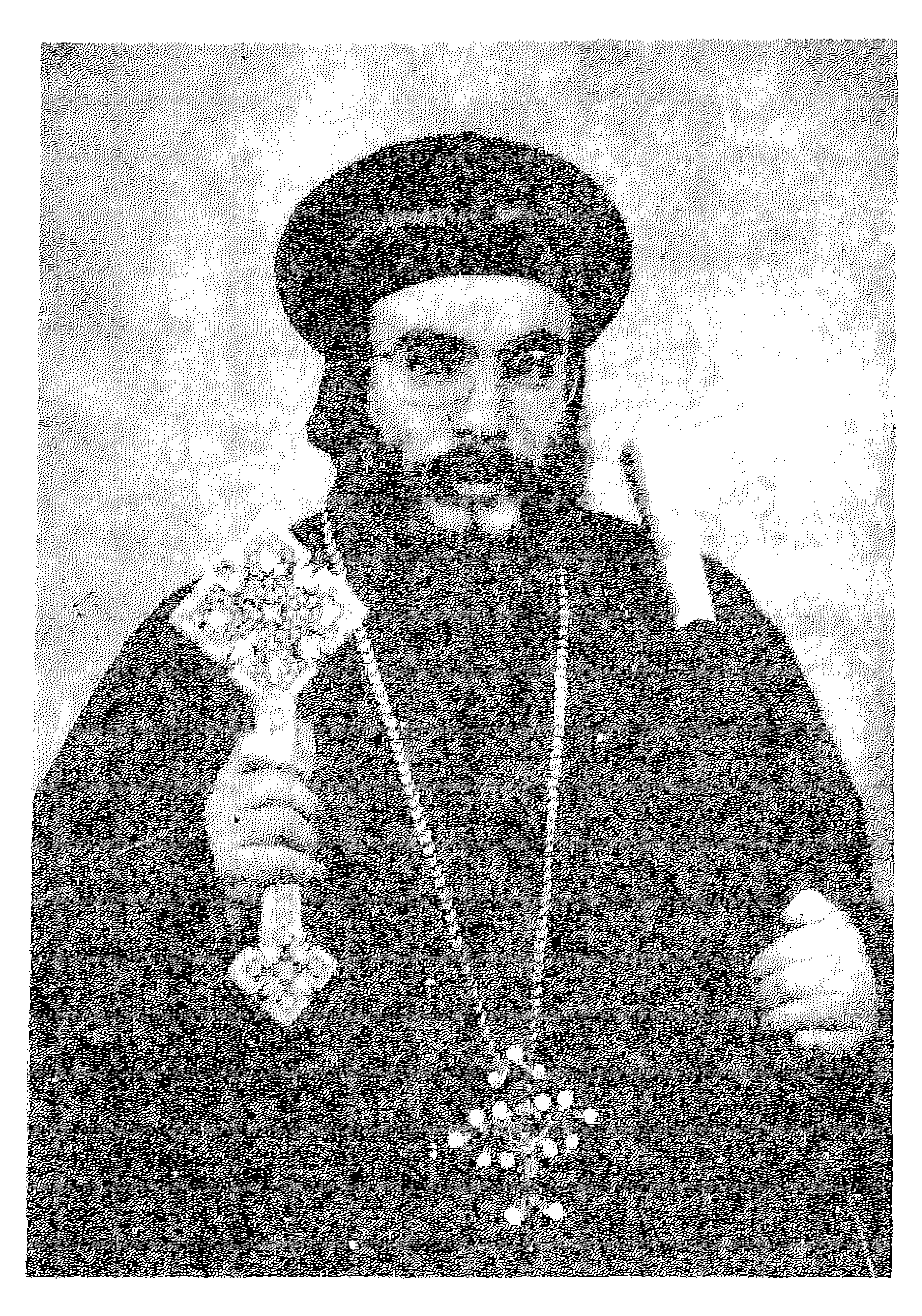
التـرقـيم الدولى :

طبع بشركة هارمونى للطباعة

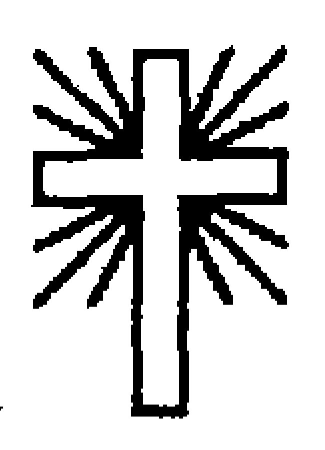
ت ٦١٠٠٤٦٤ -فاكس ٦١٠٠٧٣٠



قداسة البابا شنودة الثالث



الأنبا يسطس



باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين



مقدمة الكتاب

ما معنى أن يكون الإنسان مسيحياً؟ ... وكيف يمكننا أن نصير مسيحيين في عصر كهذا؟ ... بل كيف يمكننا أن نصير مسيحيين أفضل مما نحن؟ وماهى طريقة العمل لكى نبعث روح المسيحية فى العالم؟

إذا كان لدينا أى إهتمام بالمسيحية فإن هذه الأسئلة تقع من نفوسنا موقع الإختبار العميق ، فإن الدعوة للمسيحية نالت أكثر مما نالته أى قضية أخرى . وكل إنسان يفكر في الأغراض البعيدة للحياة لا يمكنه أن يقف موقف الحياد من تلك الدعوة ، وليس أمامه إلا أن يختار أحد اتجاهين ، فإما معها وإما عليها . وقد يرى البعض أن المسيحية لا تستند إلى براهين قوية ، وهذا البعض إنما يستعمل حقه كإنسان فى حرية الإختيار والسير بمقتضى تلك الحرية !

وهذا الإختيار سواء كان سلباً أو إيجاباً هو اختيار للحياة ، فإن اليوم هو أساس الغد ، والمسئولية كالحياة لا يمكن التهرب منها ، كما أن الحصاد لا

يمكن تأجيله . إن الوقوف فى مواجهة يسوع المسيح ثم الفصل بكلمة نعم أو لا ليس أمراً بسيطاً ، بل هو حكم يشمل الحياة بجملتها والمستقبل بجملته . إن المستقبل هو الآن كما أن الحصاد نتيجة الزرع ، وأن الحكم الذى سيصدره الله فى النهاية في شأننا سواء كان للموت أو للحياة إنما هو تثبيت وتكميل للأحكام التى نصدرها نحن على أنفسنا اليوم .

إن المسيحية ليست بنت الظروف ، وليس فى الوجود مسيحى رغم أنفه ، إنما الحياة المسيحية يجب أن نسعى إليها سعياً ، نعم إن بعض العوامل لا سيما فى أيام الطفولة قد يكون لها أثر فى توجيهنا توجيهاً خاصاً دون علمنا ودون رأينا الخاص ، ولكن هذا الأثر لا يتعدى حداً محدوداً ولابد من موافقتنا الشخصية أخيراً فى أن نكون مسيحيين . إن محبة الله الممثلة فى المسيح تشمل جميع المسيحيين ، وما لم تجد تلك المحبة قبولاً فى نفوسنا فلا يمكن أن يكون لها عمل فى حياتنا .

ثم أن هذا القول يجب أن يتم بعلمنا ويبنى على أسباب نقتنع بها ، أما إذا كانت مسيحيتنا ما هى إلا مجاراه للوسط الذى نعيش فيه ، ونقبل المسيحية كما نقبل أى مصطلاحات اجتماعية للمكان والزمان ، فنحن لم نعرف بعد ولم نحصل على المركز المسيحى الحق .

لا يمكننا أن نقف على الحياد تجاه يسوع ، وهو نفسه طلب منا الفصل فى الإختيار لما كان على الأرض ومازال يطلبه «ماذا تقولون عنى؟» نعم ، إن

الكثيرين سبق أن أجابوا على هذا السؤال ، وقد تتلمذوا فعلاً ليسوع ، ولكن الحياة ليست مجرد اعتراف وقتى ثم لا شيء ، وإنما هى إعترافات متوالية بلا إنقطاع ، ولا عبره بقولهم المسيحى اليوم مسيحى غداً ، بل هى عملية تثبيت يدعم تثبيتاً ، وكلما كثر التثبيت ازدادت رسوخاً !

أنا لا أقصد ذلك الإعتراف المصطلح عليه بكلمة «التجديد» فإن هذا التجديد ما هو إلا تجديد أولى للإتجاه ، ولكن السير فى ذلك الإتجاه تعترضه إختبارات متعددة الأنواع ، وكل اختبارات متعددة الأنواع ، وكل إختبار منها يقتضى إعترافاً جديداً ، وهذه الإعترافات تنير لنا السبيل ، وكلما حصلنا على نور أكثر ازدادت قوة إبصارنا وازداد السبيل وضوحاً ، وكلما ازداد السبيل وضوحاً ازدادت واجباتنا المسيحية .

ولكن ... أليس هناك فرق بين مسيحية الطفل ومسيحية الرجل الناضج؟ إننا نعرف كثيرين كانت عملية التجديد فيهم عملية إنحلال ... إنهم سقطوا على الأرض كما سقط بولس فى دمشق ، ولكنهم لم يقوموا ثانياً كما قام هو، بل مازالوا إلى اليوم ساقطين على وجوههم ، قال يسوع : «أولاً عوداً ثم سنبلة ثم حبة ممتلئة» .

ولكن صنفاً من الناس يبقى على الدوام فى طور العود مع أن الله يريد للأطفال أن ينموا ، إننا نقبل المسيح أولاً «كأطفال فى المسيح» ، ولكن لا لنبقى أطفالاً بل لكى ننمو إلى ملء قامة الرجال ، أما البقاء بلا نمو

فمخالف لقانون الطبيعة ، إن الطفل الصغير يحب أمه ، فإذا بلغ طور الرجولة يحبها أيضاً ولكن محبته لها فى الحالة الثانية تتصف بعمق وغزارة وقوة إدراك لا يمكن أن تصل إليها محبة الطفل الساذجة .

كل من اعترف بيسوع المسيح رباً ومخلصاً فهو مسيحى ، والبعض يأخذ هذه القاعدة على أنها فى منتهى البساطة ، أما البعض الآخر فيعتبرها مسألة لاهوتية ، نعم إنها بسيطة ولكن بساطة العمق ، ثم أنها لاهوتيه وكل مسألة عميقة يجب أن تكون لاهوتية ، إن هذه القاعدة البسيطة تحمل بين طياتها كل مافى الوجود ، ، وأن الإيمان الذى يؤمنه المسيحى فى يسوع المسيح هو إيمان فريد لا يمكن أن يشاركه فيه شخص آخر من بدء التاريخ ، فالإيمان بالمسيح كرب هو اعتراف بحقه فى امتلاك حياة المؤمن امتلاكاً كلياً ، والإيمان بالمسيح كمخلص هو اعتراف بسلطانه فى مغفرة الخطايا ، وتخليص الحياة من كل شر وجعلها مطابقة كل المطابقة لمشيئة الله ، وهذا الإيمان يختلف درجات قوة وضعفاً ، ويجب أن يزداد كل على التوالى ، ولكن الحصول عليه على كل حال هو أساس المسيحية .

إن يسوع المسيح رب ومخلص بحكم وظيفته ، ولا يستطيع أى إنسان أن يضعف من قوة هذه الوظيفة فهى ليست متعلقة على إرادة الإنسان بل على إرادة الله ، ولكن إيمان الإنسان يجعل تلك الوظيفة عاملة فيه ، فإذا لم يؤمن بها فقد حرم نفسه من التمتع بمزاياها ، دون أن يستطيع أن ينقص

منها أو يزيد عليها ، ودون أن يؤثر فى الحقيقة أن خلاص الإنسان بكليته فى يد الله وإرادته ، ولزيادة الإيضاح نقول إن الله يعد المائدة ويدعو المدعوين ، إنه يدعوهم ولكنه لا يجبرهم ، إنه يناديهم ولكنه لا يأمرهم ، إنه يشير إليهم ولكنه لا يشدهم شداً ، وكل دعوة هى عرضة للرفض .

إن الإيمان بيسوع المسيح ، الإيمان بأن الله له الحق فى السلطان على حياتنا وحياة الآخرين ، الإيمان بأنه أرسل إلى العالم لخلاصه ، هذه العبارات ممكن أن تكون مجرد كلمات لطيفة ، كما يمكن أن تعبر عن أعمق الحقائق وأنفعها وفى هذه الحالة لابد أن يكون لها ثمر ، أما إيماننا نحن فى يسوع المسيح فهو عقيدة عاملة ،نضع فيها أنفسنا بكليتنا ، أى أن الإيمان ليس مجرد اقتناع العقل بحقيقة عظمى بل هو طرح الرغبات الشخصية وإخضاع الإرادة، ومعنى ذلك أننا نسير فعلاً فى الإتجاه الذى نعتقد بوجوب سيرنا فيه ، إما أن نصرح بأننا نعتقد بوجوب إتخاذنا ليسوع رباً ومخلصاً ثم لا نتخذه فعلاً فلن يكون هذا إيماناً ، إن الإيمان عمل .

الإيمان هو أن نفسح الطريق ليسوع المسيح ، وهذا يعنى أن نرى الله وأنفسنا والعالم فى نور يسوع المسيح ، وبعد ذلك نجتهد فى أن نجعل هذه الرؤية فعالة فى كل حياتنا ، فإذا فعلنا ذلك صار إيماننا المسيحى مسرحاً رحيباً للأعمال ، إنك مسيحى لأنك تؤمن بيسوع المسيح رباً ومخلصاً ، ، ولكن إيمانك بيسوع رباً ومخلصاً معناه أن تكون حياتك قوية عاملة ، فإذا

لم تكن فى حياتك هذه القوة العاملة كان ما تظنه إيماناً فى المسيح لا علاقة له بالمسيح، ولا بالحقيقة الحية ولا بابن الله الذى نزل وعاش على الأرض وتألم ومات وقام لأجلك ولا بشيء من ذلك بل هو مجرد عقيدة لفظية ، أو اقتناع عقلى بإحدى القضايا ، وهذا ليس إيماناً لأنك تستطيع أن تصادق عليه دون أن تعمل به ، ولكنك لا تستطيع أن تؤمن الإيمان الحقيقى الفعال دون أن يكون لإيمانك ثمر فى الحياة يظهر إيمانك .

ويسرنى أن يكون هذا الكتاب بنعمة الله حافزاً للمسيحيين يدفعهم لدراسة كتابهم المقدس وتقويم حياتهم المسيحية بأقواله الحية

بشفاعة والدة الإله **القديسة العذراء مريم** ، وبركة صلوات صاحب الغبطة والقداسة **البابا شنودة الثالث** ، وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة **الأنبا بسطس** وله المجد دائماً أبدياً آمين .

القمص لوقا الأنطوني

٧ أغسطس ١٩٩٥ } بدء صوم السيدة العذراء
١ مسري ١٧١١

الفصل الأول

المسيحية بين زوايا التاريخ القديم

المعلومات الهامة التى تتصل بديانة الأجداد وعقيدتهم خصوصاً وقد ظهر حديثاً من قراءة الكتابات الهيروغليفية أن أسمى ما كانت تتجه إليه الديانة المصرية قديماً الإعتقاد بإله واحد أزلى غير مخلوق وغير منظور أستوى على إعلا السموات وأعماق الأرض ...

ففى مقبرة للأمير (تى) الذى عاش فى عصر الأسرة الخامسة يوجد بها نقوش وصور ورموز لا يعطى مجالاً للشك فى أن الفراعنة كانوا يعتقدون بالآخرة وخلود الروح كما كانت عقيدتهم فى الدينونة أنه عند وفاة الإنسان تنتقل روحه إلى أبواب السماء حيث قاعة الحق وفى هذا المكان توزن القلوب فإن ظهر نقصها ألقيت إلى الوحوش وأن رجحت كفة برها أخذها (هوروس) وقدمها إلى الإله الديان لتقبل فى السماء .

وقد يأخذنا العجب عندما نكشف عن عقيدتهم فى (سيت) ملاك الشر أو الشيطان الذى جلب الشر على بنى البشر وكيف أن (هوروس بن ايزيس)

حاربه وتغلب عليه بالقيامة من بين الأموات ومنحه كل من آمن به نعمة الحياة بعد الموت ... أليس فى هذا المعتقد رمز واضح إلى عمل كفارة السيد المسيح له المجد؟ وقد نعجب أكثر عند ما نسمع عن معتقداتهم فى تحول الخبز والخمر إلى مواد روحية من طبيعة الإله بواسطة تأدية طقوس خاصة وصلاة يؤديها كهنة فى أماكن مقدسة وذلك ما كشفت عنه نقوشهم وكتاباتهم وأليس فى ذلك أيضاً رمز إلى (سر القربان المقدس)؟ .

إن من عوامل إنتشار الديانة المسيحية فى مصر وجود الشبه فى كل من المبادىء القديمة وتعاليم النعمة . فإن القواعد الأخلاقية التى وضعها (ثباه هوشيب) قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة هى من أسمى ما كتب وتشبه إلى حد كبير أمثال سليمان الحكيم وكشفت الحفائر الجديدة عن أوراق دل ما فيها على إيمانهم بقيامة جسد روحى ووجود سماء يعيش فيها الأبرار مع إله نور من نور . وكانت حياة التعبد والتوحد عندهم هى عبارة عن التضحية وإماتة الشهوات والبعد عن عبادة المال والسلوك الشخصى المبنى على القداسة وإنكار الذات والتمسك بأهداف الفضيلة كما كان الإحتمال عندهم معناه قوة النفس والرصانة وثبات الجأش أما الإستسلام والصبر فقوامهما الإستخفاف بالأمور المقلقة والإعتماد على القوة الإلهية ومما تقدم يتضح أن ديانة الآباء الأقدمين كانت أقرب إلى المسيحية من غيرها مما ساعد على دخولهم إليها أفواجاً بعد أن كرز بها القديس العظيم مار مرقس الإنجيلى وأنيانوس والخلفاء فى الجيل الأول حتى أصبح عدد المسيحيين فى مصر يربو على الثلاثين مليوناً فى وقت ما .



المسيحية دين سماوى

منذ وجد الإنسان على وجه الأرض وجد فيه الميل إلى التقيد بدين والتعبد لمعبود ، ويخبرنا التاريخ عن الأمم التى لم يقم بها أنبياء ولم تكن فيها كتب منزلة من السماء ، أنها خلقت لنفسها آلهة تتعبد لها واصطنعت لنفسها كتباً أسمتها الكتب المقدسة لتتقيد بنصوصها وتسلك بمقتضاها .

حتى الطبيعيون واللادينيون نراهم فى الوقت الذى ينكرون فيه الآلهة والأديان يظهرون بتصرفاتهم وأخلاقهم وآدابهم كأنهم يدينون بدين ينهاهم عن الشر ويحضهم على الخير ، وكأنهم يعتقدون بوجود إله سوف يحاسبهم على كل مخالفة وتقصير ويجازيهم عن كل صنيع حسن خير الجزاء ، ولذلك هم لا يقلون شيئاً عن المقيدين بدين والمتعبدين لإله ، من جهة الميل إلى الخير والنفور من الشر .

ولقد تعددت الأديان بتعدد البشر ولغاتهم وعاداتهم ومشاربهم وميولهم ، وراح كل واحد يدين بدين يشيد بدينه ويكرز به باعتباره الدين الأوحد الذى

يضمن لصاحبه التمتع بجنات النعيم ، ولم يكتف بذلك بل راح يطعن فى الأديان الأخرى ويسفه رأى القائلين بها وربما يهينهم ويضطهدهم لا لذنب جنوه ولا لجرم ارتكبوه بل لمجرد مخالفتهم إياه فى العقيدة والدين وإنما يفعل بهم هكذا ظاناً أنه يقدم قرباناً لإلهه وخدمة لدينه ، على أن الإله الحقيقى والدين الحق يأبيان إلا أن يكون جميع الناس إخوة متحابين رغم إختلافهم فى العقيدة والدين .

ولقد تحمل الدين المسيحى من العنف والإضطهاد زمناً طويلاً ما لم يتحمله آخر ولذا لا يستطيع أحد أن يعد شهداءه الذين ماتوا والذين أوذوا بسببه ، ولمَ كان ذلك ... ألانه لم يكن ديناً سماوياً ؟ كلا . بل لأنه جاء مخالفاً جميع الأديان فى حقائقه وطقوسه وأوامره ونواهيه ، مخالفاً لجميع المشارب والميول والمطامح البشرية ضيقاً فى حدوده شديداً فى قيوده حاسباً أصغر الصغائر كأكبر الكبائر .

أما من حيث أنه دين سماوى فهذا ما لا يستطيع أن يشك فيه أى إنسان منصف عندما يتأمل الحقائق الآتية :

أولاً : إنه قام بالتبشير به والدعاية له فى بدء عهده أُناس فقراء يعدون على أصابع اليد ، ولم يستعملوا فى تبشيرهم أى إرهاب أو تهديد كما لم يستعينوا بآية قوة على الأرض ، ومع ذلك فسرعان ما انتشر رغم ما بذل من جميع السلطات من الجهود فى مقاومته والعمل على عدم إنتشاره .

ثانيــاً : شـهد لــه وأنبأ به رجال قديسون وأنبياء مكرمون كإبراهيم واسحق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وإشعياء وإرميا وحزقيال ودانيال وغيرهم ، أولئك الذين جاءوا قبل المسيح بأجيال كثيرة وقد اثبتت شهاداتهم ونبواتهم التوراة التى مازالت لحد الآن تحت أيدى أخصام المسيحية وهم اليهود .

ثالثـاً : إنه يقول أن الله تعالى أبو البشر جميعاً وأن الناس كلهم إخوة ويجب أن يكون الحب رائدهم والسلام دينهم رغم إختلاف أجناسهم ولغاتهم وأديانهم وعقائدهم .

رابعــاً : أنه يأمر بمحبة الأعداء والصفح عن المسيئين والإحسان إلى المبغضين لكى يقضى على كل ما من شأنه أن يزعزع أركان السلام أو يقوض دعائم التآخى بين سائر الآثام .

خـامـســاً : إنه حيثما وجد يوجد التقدم والعمران ولو فى البرارى والصحارى الجرداء . وحيثما وجد توجد دور العلم والمستشفيات والملاجىء ومؤسسات البر التى تخفف من شقاء الإنسانية وتهون من مصائب البشرية .

سادساً : إنه الديــن السائد فى جميع أقطـار العالم ، وينضوى تحت لوائه مـا يقـرب من نصف سكان الكرة الأرضيـة فى مـختلف الأقطار والأمصار .

سـابعـاً : إنه الدين الذى نبغ أبناؤه نبوغاً لم يكن يتوقعه العالم ، ومن

فرط نبوغهم وعبقريتهم غاصوا أعماق الماء وركبوا متن الهواء ، وسيروا وأنطقوا الحديد وقصروا المسافات وقربوا كل بعيد ، بواسطة القطارات والطائرات والتلغراف والتليفون والراديو والتليفزيون وغيرها من المخترعات ، وهاهم يحاولون أن يكتشفوا ويستغلوا العوالم العلوية كالمريخ وغيره من الكواكب السماوية ، مما يدل على أن الدين المسيحى لكونه ديناً سماوياً يهب العقل نوراً والذهن صفاء ليكتشف الإنسان ما لم يمكن إكتشافه منذ زمان .

وإننى أكتفى بهذا القدر من الحقائق التى أقول مرة أخرى بل أوكد بأنه لا يستطيع أى إنسان منصف يقرأها ويقف عليها أن يخامره أدنى شك بأن المسيحية دين سماوى واجب احترامه وتنزيهه وإكرامه .



الفصل الثالث

المسيحية ديانة قوة

لا صعب فى المسيحية ، ولا يأس ، ولا فشل ، بل فيها ؟ **«أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى»** ... من الأشياء التى تبدو صعبة فى المسيحية، الصليب ، والباب الضيق .. ومع ذلك حمل المسيحيون الصليب ، ودخلوا من الباب الضيق ، ، مترنمين بقول الرسول **«ووصاياه ليست ثقيلة»** (١يو ٥:٣) .

نعم .. ما أصعب ـ فى نظر أهل العالم ـ تحويل الخد الآخر ، وسير الميل الثانى ومحبة الأعداء ، وبيع كل ما للإنسان ليعطيه للفقراء.

ما أصعب إتباع ديانة تدعوا إلى النسك والزهد ... ولكن هذه الديانة التى تبدو صعبة ، انتشرت فى كل مكان ، ودخل الناس فى زهدها بكامل إرادتهم ، بل اشتهوا فيها الألم ، واشتهوا الإستشهاد ، وجعلوا الصليب شعارهم .

إن الوصية الصعبة فى المسيحية ، تحمل القوة فى تنفيذها . لقد قدمت

المسيحية للبشرية مثاليات عالية ووصايا سامية ، ولكنها فى نفس الوقت قدمت قدرة روحية ومعونة من النعمة للسير فى هذه المثاليات ، بسهولة ، وبلذة أيضاً .

قدمت للناس حياة الروح ، ومع هذه الحياة قدمت الروح القدس ليسكن فى الإنسان ، ويمنحه قوة للسلوك بالروح .

إن وصايا المسيحية تبدو صعبة لمن هو فى الخارج ، لمن لا يعيش فى الخدمة ، ولمن لم يدخل بعد فى شركة الروح القدس ، أما المؤمن فإن هذه الوصايا الصعبة تصير شهوة له ومتعة روحية ، ولا يجد فيها صعوبة .

إن المؤمن يلبس **«سلاح الله الكامل»** يقاتل به ويغلبه . ويؤمن أن «الحرب للرب والله قادر أن يغلب الكثير بالقليل» ويشعر دائماً أن قوة إلهية تلازمه وتعمل معه ...

لذلك فإن حياة المؤمن هى نصرة دائمة ، لأن الله يقوده فى موكب نصرته ... **«الرب يقاتل عنكم ، وأنتم تصمتون»** .

إن الذى يستشعر الفشل ، لم يجرب النعمة بعد ، ولم يختبر عمل الله فيه ، ولا عمل الله معه ... ما أعجب قوة الرب لتلاميذه فى حديثه عن المعجزات : **«الحق أقول لكم : من يؤمن بى ... فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً»** (يو ١٤:١٢) .

المسيحية ديانة قوة : بدأت بقوة القيامة ، التى انتصرت على الموت

وفتحت أبواب الجحيم ، وسبت سبياً ، وأدخلت الأبرار إلى الفردوس ... ثم رأينا قوة الكرازة ، وقوة الإحتمال فى الإستشهاد.

بقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة ... بقوة وقفوا بها أمام الرؤساء وتكلموا بلا مانع .. اسطفانوس أفحم ثلاثة مجامع **«لم يقدروا أن يقاموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به»** .

وهكذا **«كانت كلمة الرب تنمو ، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً»** بقوة آيات وبقوة الكلمة ، وبقوة قلب صمدوا أمام السيف والنار .. قوة قد لبسوها من الأعالى ... وكما قال لهم الرب **«ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً»** .

إنها قوة أعطاهم فيها سلطاناً على جميع الشياطين ، وعلى كل قوة العدو ، وأعطاهم فيها مفاتيح السموات والأرض ... وكانت لهم قوة فى صلواتهم جعلت المكان يتزعزع ، وقوة من الملائكة المحيطين بهم الذين كسروا سلاسلهم ، وأخرجوهم من السجن .

وهكذا كانت هناك قوة فيهم ... وقوة أخرى محيطة بهم . إنها قوة جعلت الوثنية تنقرض وتزول ، قوة المسيحية العزلاء التى هزمت امبراطورية مدججة بالسلاح ، استسلمت ودانت للمسيحية ... قوة الصليب الذى ظنوه دليل ضعف ، وكان مصدر قوة وفخر .

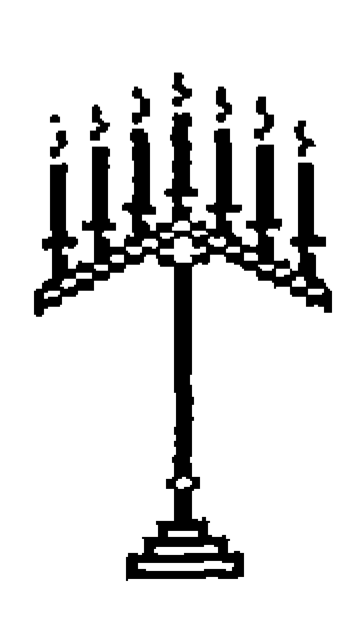
إن المسيحى إنسان قوى ، فى روحه ، وفى معنوياته ، لا يخاف شيئاً

وقوته لا تستمد من ذاته ، إنما من روح الله .

المسيح الأعزل كان يخافه بيلاطس ، ويشتهي إطلاقه ، وبولس الأسير لما تكلم عن الدينونة ارتعد أمامه فيلكس الوالي .

إنها قوة المسيح الذى قال : ثقوا أنا قد غلبت العالم ... وهى قوة القلوب الناسكة الزاهدة ، التى انتصرت على كل شهوات العالم فى حياة مقدسة أذهلت الناس وأرعبت الشيطان .

إنها القوة التى تظهر في قول أغسطينوس : «جلست على قمة العالم حينما أحسست فى نفسى ، أني لا أشتهى شيئاً ... ولا أخاف شيئاً ... قوة التجرد والتعفف .



الفصل الرابع

المسيحية و المجتمع

المسيحى فى المجتمع عضو نافع يعامل الناس جميعاً كشخصه تماماً مقتدياً بقول السيد المسيح...**«تحب قريبك كنفسك»** (مت ١٩:١٩) . **«فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم»** (مت ٧ : ١٢) .

بل يعتبرهم من كثرتهم مكملين له فى بناء المجتمع كشخص واحد وفى ذلك يقول معلمنا بولس الرسول **«هكذا نحن الكثيرين جسداً واحداً فى المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر»** (رو ١٢:٥) **«مهتمين بعضكم لبعض إهتماماً واحداً»** (رو ١٢:١٦) .

وإنطلاقاً من هذا المبدأ يعيش المسيحى مع المجتمع فى مودة ومحبة أخوية **«وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية»** (رو ١٢:١٠) .

وهو يفرح مع الفرحين ويشارك الباكين ويبكى معهم لأن هذه المشاركة وهذا الشعور النبيل منبعه أن الجميع واحد **«فرحاً مع الفرحين وبكاء مع**

الباكين» (رو ١٢:١٥) .

كما أن المسيحى يهتم بخاصته **«وإن كان أحد لا يعتنى بخاصته ولاسيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن»** (١تيمو ٥:٨) .

والمسيحى ينظر إلى ما للغير أيضاً **«لا تنظروا كل واحد إلى ما لنفسه بل كل واحد إلى ما هو للآخرين أيضاً»** (فى ٢:٤) ويقدم الملابس والطعام للمعدمين **«من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام فليفعل هكذا»** (لو ٣:١١) .

وهو محب للغرباء يستضيفهم **«عاكفين على إضافة ألغرباء»** (رو ١٢:١٣) **«مشتركين فى إحتياجات القديسين»** (رو١٢:١٣) ... بل لقد وضع الكتاب المقدس صورة حية للمشاركة الوجدانية وجعلها من عمد الديانة المسيحية فيقول **«الديانة الطاهرة النقية هى إفتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقاتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم»** (يع ١:٢٧) .

بل أن المسيحى من وحى أعماقه يشارك عدوه إحتياجاته ويقدمها له ويعتبر ذلك واجباً مقدساً ومفروضاً عليه **«فإن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فاسقه»** (رو ١٢:٢٠) .

والمسيحية تعلمنا ألا نعثر أو نضع معثرة للغير **«فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً بل بالحرى احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة**

أو معثرة» (رو ١٤:١٣) .

وأن يمتنع عن كل شىء يسبب العثرة للآخرين **«حسن أن لا نأكل لحماً ونشرب خمراً ولا شيئاً يصدم به أخوك أو يعثر أو يضعف»** (رو ١٤:٢١) .

لذلك **«إن كان طعام يعثر أخى فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أعثر أخى»** (١كو ٨:١٣) .

ومن صور المشاركة والمجاملات والواجب يأمرنا الكتاب المقدس **«شجعوا صغار النفوس اسندوا الضعفاء تأنوا على الجميع»** (١تس ٥:١٤) .

بل جعلت المسيحية الإمتناع عن فعل الخير خطية **«فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له»** (يع ٤:١٧) والمشاركة الوجدانية والمجاملات فى المسيحية لاتبيح للمسيحى أن يشارك فى كل شىء فهى تعلمنا **«تمسكوا بالحسن»** (١تس ٥:٢١) .

فيجب على المسيحى ألا يسلك **«فى مشورة الأشرار وفى طريق الخطاة لا يقف وفى مجلس المستهزئين لا يجلس»** (مز ١:١) .

وقد طوب الكتاب مثل هذا الرجل **«طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورتهم أو يجلس فى مجلسهم أو يقف فى طريقهم»** .

ويقول مع داود النبى : **«لم أجلس مع أناس السوء»** (مز ٢٦:٤) **«ولا تجعل مع الخطاة نفسى ولا مع رجال الدماء حياتى»** (مز ٢٦:٩) . لأنه يعلم

أنه خلق على صورة الله ومثاله وكما جاء فى رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (ص ٢:٣) **«أنتم رسالتنا مكتوبة فى قلوبنا معروفة ومقروءة من جميع الناس»** .

وأن يراعى فى تصرفاته ومجاملاته مشاركاته الوجدانية فى حدود الكتاب المقدس .

«أخيراً أيها الإخوة كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كان فضيلة وإن كان مدح ففى ذلك افتكروا» (فى ٨:٤) فعليه إن كان يتكلم أحد فكأقوال الله ... (١بط ١١:٤) .

ويبتعد عن المشاركة فى الحفلات والأفراح والأماكن المملوءة باللهو والسكر والعربدة حتى لا يخدع **«ولكننى أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التى فى المسيح»** (٢كو ٣:١١) .

فثمار المسيحى يجب أن تكون ثمار الروح القدس **«لأن من ثمارهم تعرفونهم»** (مت ٢٠:٧) .

فلا تكون المشاركة الوجدانية للرياء والنفاق فيجب أن يطرح النفاق والرياء .. بل من العمق وللمشاركة الوجدانية المتجردة والمجاملات التى تتناسب مع الشعور المسيحى المرهف .

ونقول مع بولس الرسول : **«إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت إن عشنا وإن متنا فللرب نحن»** .

الفصل الخامس

المبادىء المسيحية فى مجال التطبيق العملى

يقول صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى إننا ندرك أهمية موضوع المبادىء المسيحية فى مجال التطبيق العملى ومن أجل هذا سنتكلم عن بعض الأمور الهامة لنحدد موقف المسيحية منها ، كما علم بها المسيح مخلصنا ورسله وآباء الكنيسة المعتبرون أنهم أعمدة .

المغفرة وحدودها فى المسيحية

المغفرة وحدودها فى المسيحية . كيف نغفر ، وإلى أى مدى يمكن أن نغفر؟ نحن نعلم أن مخلصنا يقول فى الإنجيل : «**فإنكم إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى زلاتكم ، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم فأبوكم أيضاً لا يغفر لكم زلاتكم**» (مت ٦:١٤ ، ١٥) .

وفـى نفـس المعـنى تـقريباً نجده فى إنجيل مرقس (١١: ٢٥ ، ٢٦) يقـول : **«ومـتى قمـتم لتصلوا فـإن كان لـكم على أحد شيء فاغفروا لـه لكـى يغـفر لكـم أيضاً أبـوكم الـذى فى السماوات زلاتكم . وإن لـم تـغـفروا أنـتم فـأبوكم الـذى فـى السـماوات أيضاً لا يغـفر زلاتـكـم»** . ويـقـول يشوع بـن سيراخ : **«اغفـر لقريبك ظلمه لك ، فإذا تضرعت تمحى خطاياك . أيحقد إنسان على إنسان ثم يلتمس من الرب الشفاء»** (بن سيراخ ٢٨ : ٢ ، ٣) .

وضـرب فـادينا له المجد مـثلاً بالعبد الذى كان مديوناً لسيده بعشرة آلاف وزنـة ، وسـامحه سيده فى العشرة آلاف وزنه ، ولكنه لم يرحم رفيقاً له كـان مـديوناً له بمائة دينار ، فـغضب عليـه سيده ، ويقـول رب المجـد : **«فـهكذا أبـى السـماوى يصنع بكم إن لم تـغـفروا من قلوبكم كل واحـد لأخيه»** (مت ١٨: ٢٣ ـ ٣٥) .

معنى هذا أنه مطلوب منـا أن نغفر لمن أساء إلينا ، بل إن مـغـفرة الرب لخطايانا تتوقف على مغفرتنا لمن أساء إلينا .

إلى أى حد يكون غفراننا للمسيئين إلينا ؟

ســأل مـار بطـرس الرسـول ربـنا يسوع المسيح هذا السؤال ، **«وقال لـه يـارب كـم مرة يخطـأ إلـىّ أخـى فاغفر له ، أإلى سبع مرات . فقال لـه يسـوع لا أقـول سـبع مـرات بـل إلى سبعين مرة سبع مرات»**

(مـت ١٨: ٢١ ، ٢٢) . ولست أظن أن المقصود هو هذا العدد ٤٩٠ (حاصل ضرب ٧٠×٧) ، ولكن المقصود هو استعداد المسيحى لأن يغفر مغفرة بغير حدود .

وقال رب المجد أيضاً فى موعظته على الجبل : **«فإذا قدمت قربانك إلى المذبح ، وذكرت هناك أن لأخيك عليك شيئاً ، فدع قربانك هناك أمام المذبح وامض أولاً فصالح أخاك ، وحينئذ أئت وقدم قربانك»** (مت ٥: ٢٣ ، ٢٤) .

من هنا نفهم أن الغفران مطلوب ، وأن هذا الغفران شرط لحصول الإنسان على رضا الله وأنه بدونه لا يكون له هو أيضاً مغفرة أمام الله . ثم أنه ليس لهذا الغفران حدود أو قيود .

ما مدى هذا الغفران ؟

هنا نأتى إلى سؤال آخر :

إنسان يخطأ ضدى دائماً فهل أغفر له دائماً؟ أنه يجىء وقت يتضايق فيه الإنسان ويتذمر قائلاً : وإلى متى؟ خاصة وأن هناك شخصاً لا يخطأ إلىَّ جهلاً ، بل يخطأ ضدى عمداً وقصداً ، فماذا أصنع فى هذه الحال؟! .

شخص يدوس على قدمى ثم يقول لى سامحنى ، أخطأت . هنا أجد من واجبى أن أغفر له ، لأنه قد يجوز أن يكون قد داس على قدمى خطأً وجهلاً . لكن ماذا أصنع لو أن هذا الشخص داس على قدمى قصداً وعمداً ، ثم

يضحك عليَّ بكلمة «سامحنى» ، يقولها وهو عالم أنه سيدوس على قدمى مرة واثنين ، وعشرة وعشرين مرة ، وهو مطمئن إليَّ أنى سأغفر له . أنه يطالبنى بتنفيذ شريعة الغفران ، ولكنه لا يطالب نفسه بأى التزام . أليست هذه الظاهرة مألوفة فى عالمنا اليوم ؟! .

حق المسيحى فى معاتبة المسىء إليه :

إن ما قلناه عن الغفران هو نصف الحقيقة ، هذا النصف هو الذى يتكلم به وعاظنا من على منابر التعليم ، ولكنهم يهملون عادة النصف الآخر من الحقيقة . وهو ما يُعلم به مخلصنا فى موضعه .

اسمعوا ما يقوله ربنا وفادينا : **«إذ اخطىء إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه على إنفراد . فإن سمع لك فقد ربحت أخاك ، وإن لم يسمع لك فخذ معك واحداً أو اثنين لكى تقوم على فم شاهدين أو ثلاثة كل كلمة . فإن أبى أن يسمع لهم فقل للكنيسة وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كوثنى وعشار»** (مت ١٨ : ١٥ - ١٧) .

هنا أريد أيها الإخوة أن أضع خطاً سميكاً بل عدة خطوط تحت كلمة **«إذا أخطىء إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه على انفراد . فإن سمع لك فقد ربحت أخاك ، وإن لم يسمع لك فخذ معك واحداً أو اثنين»** . وهذا هو النصف الثانى من الحقيقة . وهو المكمل للنصف الأول . فلقد عرفنا أن من واجبنا أن نغفر لمن أساء إلينا جهلاً أو عن غير عمد ، ولو

كان ذلك مئات المرات . لكن سيدنا نفسه أعطى للإنسان حق معاتبة من أخطأ إليه . إنه لم يقل (اغفر) بلا قيد أو شرط ، بل أعطى للإنسان حقاً فى أن يعاتب من أساء إليه ، وهذه نقطة مهمة فى العلاقات الإنسانية المسيحية ، وكما يقول يشوع بن سيراخ : **«عاتب صديقك فلعله لم يفعل ، وإن كان قد فعل فلا يعود يفعل . عاتب صديقك فلعله لم يقل ، وإن كان قد قال فلا يكرر القول . عاتب صديقك فإن النميمة كثيرة ، ولا تصدق كل كلام . فرب زال ليست زلته من قلبه»** (ابن سيراخ ١٩ : ١٣ - ١٦) .

إذن من حق الإنسان أن يعاتب من أساء إليه . وهذه نافعة وضرورية ، حتى يعرف المسىء أن الفعل أو القول الذى أساء به إلىَّ قد جرح شعور هذا الغير وآذاه . فإذ لم تكن هناك معاتبه ربما كان المسىء لا ينتبه إلى خطئه ، وربما أيضاً يتمادى فيه إما عن جهل أو غير قصد . لابد للمسىء أن يتبين أنه لا يعامل حيوانات أو جمادات ، بل يعامل كائنات بشرية حية لها شعور ولها إحساس ولها كرامة ، وأنه بتصرفه أو بكلماته قد آذى شعور غيره ومس كرامته .

إن المعاتبة تشعر بخطئه ، وتنبهه إلى نتائج تصرفه بالنسبة إلى غيره إذا لم يكن متنبهاً إلى ذلك . ثم هى توقفه عند حده فلا يتمادى فى تصرفه أو قوله إلى ما هو أبعد .

وهذا معنى قول بنِ سيراخ «عاتب صديقك فلعله لم يفعل، وإن كان قد فعل فلا يعود يفعل. عاتب صديقك فلعله لم يقل. وإن كان قد قال فلا يكرر القول» .

من دون المعاتبة والمحاسبة والمواجهة قد لا يتبين المسيء مدى إساءته ، ومدى الأثر المؤلم الذى أحدثه تصرفه أو قوله فى نفوس الذين أساء إليهم . فيبدأ أن يتعلم كيف يحسب لتصرفه وكلامه حساباً قبل أن يتصرف وقبل أن يتكلم . وعلى هذا الأساس تتقدم العلاقات الإنسانية ، ويتعلم الصغار والكبار كيف يعاملون الناس وكيف يرعون آداب الحديث وآداب التصرف.

كم من الناس الذين نعايشهم ينفجر فى غيره ـ حينما ينفعل . بغير حساب ، بكلمات مؤلمة بذيئة جارحة . ومع ذلك يفاخر بنفسه ويقول أنا إنسان أبيض القلب : أغضب ولكننى سريعاً ما أصفح . أشتم ولكننى لا أحقد .

أيها الأخ ! أتمدح نفسك على ذلك؟ كيف تجرؤ على أن تصف ذاتك بنقاوة القلب وصفاء الضمير ، بعد أن تكون قد أفرغت سُمك فى غيرك ، وبعد أن تكون قد آذيت شعوره وآلمته بتصرفك وبكلماتك وهدرت كرامته ، ومزقت أحشاءه من الغيظ وألم ؟ أنك قد نفست عن نفسك ، ولكنك نفثت شرك فى قلب غيرك ، فأنت استرحت على حساب إيلام غيرك!

ألا تعلم يا أخى أن الكلمة الجارحة تكون أحياناً أحد من السيف؟ ألا ترى أنه بعض الأحيان يتمنى الإنسان الموت ، على أن يسمع كلمة جارحة .

لذلك كانت المعاتبة لازمة وضرورية ، حتى يتبين المخطىء مبلغ خطئه ، ويعرف مدى الجرح الذى أحدثه فى غيره بسوء تصرفه أو قبح كلماته ، وحتى لا يعود من جديد إلى مثل هذا التصرف المؤلم .

هذا أفضل عما فى المعاتبة من كشف الحقيقة التى قد تكون مجهولة من كلا المسىء والمساء إليه . فقد يكون التصرف أو الكلام ببراءة أو بحسن قصد ، وقد يكون أحد الطرفين ، أو كلاهما ، قد أساء الفهم . فالمعاتبة تجلو ما فى قلوب الناس من مشاعر المرارة ، لأنها تنير أمام الأطراف المتنازعة ما عساه أن يكون قد نشأ من غضب لسوء الفهم أو سوء التعبير .

ثم أن هناك بعض التصرفات أو الأقوال تنقل إلى الناس نقلاً عن طريق وسطاء . والنقل قابل لأن يفسد العلاقات بين الناس ، سواء كان ذلك لعدم أمانة الناقل . أو عدم دقته فى النقل . وعدم الأمانة شر مقصود ، وعدم الدقة شر غير مقصود ، ولكن كلا منهما شر ، وينتج عنه شر بل شرور. وكم من البلايا والحروب والمنازعات والخصومات تنشب بين الأفراد والعائلات، سبب نقل أنباء أو تصريحات لا يراعى فى نقلها الأمانة والنزاهة والدقة معاً.

لذلك كانت المعاتبة أو المواجهة نافعة بل ضرورية ، لأنها تجلو الحقيقة ، ولا تدع فرصة للنميمة وما يتبعها من مضار وشرور . يقول النص المقدس **«عاتب صديقك فلعله لم يفعل . وإن كان قد فعل فلا يعود يفعل . عاتب صديقك ، فلعله لم يقل . وإن كان قد قال ، فلا يكرر القول . عاتب صديقك ، فإن النميمة كثيرة ، ولا تصدق كل كلام . فرب زال ليست زلته من قلبه»** .

اذن لقد أعطانى مخلصنا حق المعاتبة . فمن حقى أن أعاتب من أساء إلىَّ . وقد أتنازل عن هذا الحق ، وقد لا أتنازل عنه ، لكنه حقى أملكه . وليس نقصاً أو

عيباً أو شراً أن أعتب على من أساء إليَّ . بل أنه من النافع أحياناً ، واللازم أحياناً أخرى أن أستغل هذا الحق لصالحى ، ولصالح الآخرين . لصالحى ، لأن المعاتبة تريح . لأنها تغسل الألم وتشفى النفس وتضمد الجراح . وصدقوا إذ قالوا أن العتاب صابون القلوب ، ثم لصالح الآخرين ، لأنه بسبب المعاتبة يتعلم الناس الحذر والحرص من أن يقذفوا الكلمات والتصرفات من غير وعى أو تدقيق ، ويرجمون بها غيرهم من دون مبالاة بمشاعر هذا الغير ، يقول مخلصنا **«إذا اخطىء إليك أخوك فاذهب وعاتبه ... فإن سمع لك فقد ربحت أخاك»** وإذن ففى المعاتبة كسب وربح للآخرين .

إن حق المعاتبه حقيقية مسيحية لا تقل خطراً وأهمية عن حقيقة الغفران للمسيئين التى تنادى بها المسيحية .

والمسيح له المجد هو الذى علم بالمعاتبة كما علم بالغفران للمسيئين . فمن الخيانة لتعليم المسيح أن نبرز من تعليمه نصفه ونبتلع النصف الآخر . لقد علمنا المسيح أن نغفر للمسيئين إلينا من كل قلوبنا ، بل قال إن لم تغفروا للناس زلاتهم فأبوكم أيضاً لا يغفر لكم زلاتكم . ولكنه قال أيضاً **«إذ اخطىء إليك أخوك فاذهب وعاتبه»** .

وماذا بعد المعاتبة :

يقول سيدنا **«إذا اخطىء إليك أخاك ، فاذهب وعاتبه بينك وبينه على إنفراد ، فإن سمع لك فقد ربحت أخاك»** ولكن مخلصنا يعلم أن هذه المعاتبة

قد لا تجدى أحياناً ، ولذلك فإنه يتحوط فى تعليمه ، ويرشدنا إلى التصرف اللائق فيما لو أن هذه المعاتبة لم تنتج الخير المأمول منها فيتابع السيد حديثه وتعليمه الصالح **«وإن لم يسمع لك، فخذ معك واحد أو اثنين لكى تقوم على فم شاهدين أو ثلاثة كل كلمة »**.

نعم قد يسمع لى أخى ، ويتقبل عتابى ، ويعتذر لى ، ويرضينى ، فأغفر له من كل قلبى . ويعود الصفاء بيننا ربما أفضل من أى وقت مضى ، وبهذا أكون قد أرحت نفسى . وربحت أخى .

حق الاحتكام إلى الآخرين :

ولكن هب أن أخى لم يسمع لى ، كما يحدث أحياناً . هب أنه ثار فى وجهى مبرراً ذاته ، مدافعاً عن تصرفاته ، ولم يعتذر لى ولم يرضينى . فماذا أفعل ؟

إن رب المجد لم يقل : اغفر له .

بل طالبنى بخطوة جديدة عملية يجب أن أخطوها .

قـــال **«وإن لم يسمع لك فخذ معك واحداً أو اثنين ، لكى تقوم على فم شاهدين أو ثلاثة كل كلمة»** .

وهذا معناه أن الرب أعطانى حقاً جديداً هو حق الاحتكام إلى الآخرين . عندما يتعذر التفاهم بين اثنين ، ويعسر على المسىء أن يعترف بخطئه بسبب الكبرياء والأنانية والذاتية ، لا يشاء الله أن يضيع الحق هدراً . ولا يشاء الله أن تكون فضيلة الغفران عند المسيحيين الأتقياء تبريراً للطغيان

عند المسيئين اليهم . إن الله يحب الحق ولا يرضى بالظلم . فمادامت هناك إساءة قد وقعت ، فلابد أن يكون هناك مسيء . ولابد أن يعترف هذا المسيء ، حتى لا يضيع الحق ويطغى الباطل . فإذا لم يعترف المسيء بخطئه فلابد أن يكون هناك من يثبت عليه خطاه ، إكراماً للحق ، وإنصافاً للمظلوم أو المساء إليه .

ومع أن حكم الغير على المسيء أصدق من حكمه على نفسه ، لكن ضماناً لعدالة الإنصاف ، وكفاية وكفالة له ، أمر رب المجد بأن لا يكون الحكم من شخص واحد وإنما من اثنين أو ثلاثة آخرين بالإضافة إلى الطرفين المتنازعين **«لكى تقوم على فم شاهدين أو ثلاثة كل كلمة»** .

حق الاحتكام إلى رياسة الكنيسة :

على أن مخلصنا يمضى معنا إلى احتمال أبعد . هب أن أخى الذى أساء إلى نفسى وتجبر ، وعلى الرغم من أن أشخاصاً آخرين حكموا عليه بأنه هو المسيء والمخطيء لكنه لم يشأ أن يعتذر لى ، ولم يقبل أن يعترف بخطئه أو يُقر به ، بل توغل فى غطرسته وكبريائه ولم يعطنى حقى ، فهل أغفر له ؟

المحاكم الكنسية :

إن سيدنا لم يطالبنى هنا بالمغفرة بل طالبنى بخطوة عملية جديدة . طالبنى بالاحتكام إلى الكنيسة ، إذا رفض أخى أن يسمع للاثنين أو الثلاثة الذين احتكمت إليهم .

قال **«فإن أبى أن يسمع لهم فقل للكنيسة»** .

ولابد أن يكون المقصود بالكنيسة هنا ، هو رجال الكهنوت فيها من الكهنة ورؤساء الكهنة ، ومعهم الشمامسة . ذلك لأن الاثنين أو الثلاثة الذين أمر الرب بالاحتكام إليهم مبدئياً هم من بين الشعب المسيحى ، وليس من المعقول أن يكونوا من غير المؤمنين أو الخوارج . فقد قال الروح القدس على فم أحد الآباء الرسل **«أيجترى المرء فيكم إذا كانت له دعوى على آخر أن يحاكمه لدى الظالمين لا لدى القديسين . أما تعلمون أن القديسين سيدينون العالم فإن كان العالم بكم يدان أفتكونون غير أهل لأن تقضوا فى الدعاوى الصغرى . أما تعلمون أننا سندين الملائكة فبالأحرى نقضى فى أمور هذه الحياة . فإن كانت بينكم دعاوى فى أمور هذه الحياة ، فاجلسوا المحتقرين فى الكنيسة للقضاء . إنما أقول هذا لإخجالكم . أفهكذا ليس فيكم حكيم ولا واحد يستطيع أن يقضى بين إخوته»** (١كو ٦:١ ـ ٥) .

وقياساً على هذا أمر الآباء الرسل فى الدسقولية (كتاب تعاليم الرسل) بتشكيل محكمة كنسية فى كل إيبارشية يرأسها أسقف ، للنظر فى شكاوى المؤمنين والفصل فيها ، تتألف من الأسقف رئيساً ومن الكهنة والشمامسة أعضاء . قالت الآباء الرسل «ليحضر معكم يا أساقفة القسوس والشمامسة فى مجلس الحكم . واحكموا بلا رياء . بل بعدل كأناس الله ... وليكن اجتماعكم لأحكامكم من يوم الاثنين . فإن كان خصومة فصلتموها ، وتكونون مفرغين لذلك طول الأسبوع إلى يوم السبت لتنقضى الخصومة . فإذا كان يوم الأحد المقدس

تكونون قد أصلحتم بين المتخاصمين . وإذا حضر عندكم الخصوم فليقف الفريقان أمامكم في وسط مجلس الحكم كما قال الناموس .

وإذا سمعتم خصومتهم فأحكموا بينهم بالحق والعدل . ولا تحكموا بقول واحد قبل حضور خصمه ، بل إذا اجتمع الخصمان فأحكموا بينهم بالعدل ... وإذا جلستم للحكم - والخصمان قدامكم يحتكمان وجهاً لوجه - فلا تسموهما إخوة إلى أن يصطلحا ، وافحصوا عما بينهم بالحقيقة . وقد قلنا أنه لا يجوز أن تحكموا بحضور خصم واحد إلا بحضور الإثنين جميعاً ، لأنكم إن سمعتم كلام الواحد وحجته فى دعواه وأوجبتم الحكم بسرعة ، وليس الآخر حاضراً معكم ليجيب عن نفسه ، فإنكم تكونون مستحقين للذى تحكمون به ، وتوجدون أمام الله ضابط الكل ، شركاء للكذاب فى نصيبه (الدسقولية - الباب الثامن) .

وليس هذا معناه أنه فى جميع الأحوال يحتكم الإنسان إلى أسقف الإيبارشية وإلى محكمة الكنيسة ، فقد يكفى الاحتكام إلى كاهن الكنيسة ، وعند الاقتضاء يحتكم إلى أكثر من كاهن فى البلدة إذا وجد ، وإلا فإلى سلطة أعلى وإلا فإلى السلطة العليا فى الكنيسة المقدسة .

وأخيراً حكم الكنيسة لفض النزاع :

ويمضى ربنا يسوع المسيح إلى أبعد مدى ، فيفترض أن أخى الذى أساء إلىّ ولم يسمع لى ولم يقدم إعتذاراً يرضينى ، ولا قبل حكم أشخاص

آخرين من بين الشعب ، ولا سمع لصوت الكنيسة ممثلاً فى كهنتها ، فماذا أصنع له ؟

ويقول سيدنا ومعلمنا **«وإن لم يسمع من الكنيسة ، فليكن عندك كوثنى وعشار»** وهنا يكشف رئيس الكهنة الأعظم عن سلطان رجال الكهنوت القضائي على المؤمنين فى فض المنازعات والفصل فى الخصومات بقوله بعد ذلك مباشرة : **«الحق أقول لكم إن كل ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء ، وكل ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً فى السماء»** (متى ١٨ : ١٧ ، ١٨) .

إن الكنيسة كسفارة السماء على الأرض ، لا ترضى بالظلم ، بل تكرز بالحق . والكاهن ، فضلاً عن جميع اختصاصاته الكرازية والطقسية التعبدية ، هو أيضاً أقيم ليحكم بالحق بين الناس . فكان لابد أن يصان حكم الكاهن بسياج إلهى يحيطه بالإحترام والطاعة من جانب المؤمنين الذين يحكم بينهم وكلما ارتفع الكاهن فى اختصاصاته الرعوى ، زادت سلطته ، كما يتميز حكم قاض الاستئناف عن حكم القاضى الابتدائى فى المحاكم المدينة .

فإذا لم يسمع أخى لحكم الكنيسة ، لم يعد مسيحياً ، لأن الكنيسة أصدرت حكم بفرزه من شركتها ، فصار مربوطاً خارجاً عنها لا يجوز له أن يدخل فى شركتها . وتصير معاملته كوثنى وعشار لا كمسيحى ، وكما كان يعامل الوثنيون والعشارون فى الأزمنة القديمة هكذا يجب أن يعامل

هذا الذى لم يسمع لصوت الكنيسة ولم يحترم قرارها ، والنطق القضائى الذى لفظه أصحاب السلطان فيها حينئذ كما قال الرسول فى مثل هذه الحالة **«والآن كتبت إليكم ألا تخالطوهم ... فمثل هذا لاتؤاكلوه ... فارفعوه من بينكم الشرير»** (١كو ٥:١١ ـ ١٣) . وهكذا يصير محروماً من شركة الكنيسة ومفروزاً من جماعة المؤمنين كل من يخالطه ويؤاكله ...

على هذا النحو نفهم تعليم السيد المسيح فيما يتصل بالغفران فمن يتكلم عن تعليم الغفران فى المسيحية دون أن يتكلم فى نفس الوقت عن مدى الغفران كما شرحناه الآن ، فقد خطىء إلى تعليم المسيح ، وقد قدمه مبتوراً ناقصاً ، ولم يبرزه فى صورته الكاملة ، الأمر الذى يسىء إلى التعليم المسيحى ، ويهينه .

حق التوبيخ :

ومرة أخرى يمنحنى المسيح له المجد حقاً جديداً ، نحو الذى يسىء إلىَّ ، وهو حق التوبيخ .

يقول فادينا **«إذا خطىء إليك أخوك فوبخه ، وإن تاب فاغفر له . وإن خطىء إليك سبع مرات فى اليوم ، ورجع إليك سبع مرات قائلاً : أنا تائب ، فاغفر له»** (لو ١٧ : ٣ ، ٤) .

فى هذا النص القدسى يتضح تعليم سيدنا كاملاً غيرمبتور أما أولاً ـ فلأنه أمر بالغفران لمن أساء ، لكنه مع ذلك قيده بقيد فقال : **«إن خطىء**

إليك سبع مرات فى اليوم ورجع إليك سبع مرات قائلاً أنا تائب ، فاغفر له» .
إذن يجب علىَّ كمسيحى أن أغفر بشرط أن يرجع إلىَّ المسىء ويعتذر ويقول أنا تائب ، فاغفر له ، ولو بلغ الأمر إلى سبع مرات فى اليوم وكما قال مخلصنا فى موضع آخر **«لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات»** (مت ١٨:٢٢) .

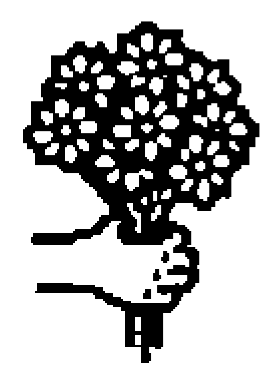
وثانياً ، منحنى كمسيحى حق توبيخ من يسىء إلىَّ **«إذا خطى إليك أخوك فوبخه»** .

قلت أن هذا حق جديد منحه المسيح مخلصنا للمسيحى نحو من أساء إليه ، لأنه سبق فأعطاه - كما قلنا - حق المعاتبه **«إذا أخطىء إليك أخوك فاذهب وعاتبه»** (مت ١٨:١٥) وحق التوبيخ أقوى من المعاتبه وإن كان من نفس النوع لكنه أقوى فى الدرجة . على أن المسيحى إذا وبخ أخاه فتوبيخه لا يخرج عن الوداعة أو السماحة والمحبة التى يجب أن يكون ملتحفاً بها ، دائماً . ثم أن توبيخ المسيحى لأخيه توبيخ هادف للخير ، فليس هو من نوع الانفعال غير المهذب الذى يؤلم ويوجع ، ولكنه التوبيخ الذى يهدف إلى تحقيق الصلح والسلام بينه وبين أخيه وذلك بأن يكشف له أولاً خطأه وإساءته ، حتى يتنبه له فيتوب عنه ، فلا يعود إلى فعله مرة أخرى لا مع الأخ ولا مع غيره من الناس . فهو توبيخ هادف ، لخير الفرد ، وخير الجماعة كلها .

ومن هنا كان الغفران بعد التوبيخ أفضل للخير العام من الغفران لغير معاتبة وتوبيخ . وهو ينقل المسيحي العادى إلى درجة الطبيب الذى يهدف بعلاجه للمريض وللمرض إلى فائدة المريض وإلى المجتمع البشرى كله .

ومن هنا أيضاً كانت فضيلة الإحتمال لأخطاء الآخرين وغفرانها أقل درجة من فضيلة كسب المسيء بتوبيخه وتنبيهه إلى خطئه مع الاستعداد للغفران له . وهى فضيلة فردية وفضيلة إجتماعية «فضيلة فردية لأنها تنطوى على الاحتمال كما تنطوى على نية ربح المسيء إليه كما يقول مخلصنا **«إن سمع (أخوك) لك فقد ربحت أخاك»** وفضيلة إجتماعية لأن صاحبها لم يكتف بنفسه فيحتمل لينال أجر المحتمل لأخطاء غيره ، ولكنه زاد على ذلك باهتمامه بتنبيه المسيء إلى خطئه حتى لا يعود إليه مرة أخرى ، فيتخلص من الشر ، وحتى لا يكرر هذا الخطأ مع غيره فيخلص آخرين معه من هذا الشر وأمثاله .

. ويعبارة أخرى يمكن أن نقول أن من يغفر لم أساء إليه من دون أن ينبه المسيء إلى خطئه يكون قد صنع خيراً واحداً هو خير نفسه هو . أما من يغفر بعد أن ينبه المسيء إلى خطئه يكون قد صنع خيوراً كثيرة بقدر عدد الأشخاص الذين يربحهم بفعله . وبقدر عدد الشرور التى يوقفها بهذا التنبيه أو التوبيخ لأخيه المسيء .



الفصل السادس

الحرية المسيحية

«فإنكم إنما دعيتم للحرية - أيها الإخوة - غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً» (غلا ٥:١٣) .

إتباع المسيح مكلف . والتلمذة الحقيقية للمسيح مكلفة . إن من يقدر التكلفة وعلى إستعداد لدفع الثمن قد يُهلك نفسه ، ومن يهلك نفسه من أجل المسيح يخلصها (مت ١٦:٢٥) ولما كانت التلمذة للمسيح اختيارية ، فاخضاع النفس للسيد أمر إختيارى أيضاً .

وبالتالى فإن طاعة المؤمن للسيد طاعة تنبع من رغبته . إن المؤمن لا يطيع السيد لأن السيد أمره بذلك ، بل أن المؤمن يطيع السيد تلقائياً ، أو لأنه يهتم بذلك .

إن إنجيل المسيح ليس سهلاً . إنه إنجيل صعب . إنه يضع الفرد فى مواجهه صادقة للقيم والمواقف ، ويعطيه حرية التصرف بازائها .

قال بولس الرسول : **«فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة . غير أنه لا**

تصيروا الحرية فرصة للجسد ، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً» (غلا ٥:١٣) .

للحرية معنيان :

١ ـ *الحرية من عبودية الخطية والموت :*

قال يسوع : **«إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً»** (يو ٨:٣٦) . وقال بولس الرسول : **«فاثبتوا إذاً فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية»** (غلا ٥:١) .

إن الحرية من عبودية الخطية هى عبودية للبر . **«وإذا اعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر»** (رو ٦:١٨) . **«لأنكم لما كنتم عبيد الخطية كنتم أحراراً من البر»** (رو ٦:٢٠) . فإن : **«الحر المدعو هو عبد للمسيح»** (١كو٧:٢٢) .

٢ ـ *الحرية من عبودية الناموس :*

الناموس ، هو «الشريعة» التى وردت فى العهد القديم . وقد كان العهد القديم يعتمد على الشرائع التى كانت دستوراً للسلوك والحياة . وقد دعا الرسول بولس إلى التحرر من «الشريعة» للسلوك بمقتضى النعمة .

ونحن لا ننكر أن النعمة ، كانت تقف وراء الشريعة فى العهد القديم . إلا أن الشريعة كانت المظهر والأسلوب الواضح .

يتكون الناموس من الشرائع الآتية :

الشريعة الأخلاقية : وهى متضمنة فى الوصايا العشر تعبر عن ملاقاة الإنسان بالله .

الشريعة الطقسية : وتشمل نظام الحكم تعبر عن طاعة الإنسان لله .

الشريعة القضائية : وتشمل نظام الحكم تعبر عن طاعة الإنسان للإنسان.

لقد وجد الناموس أصلاً لإصلاح الفوضى التى كانت موجودة قبل ذلك . ولكن الناموس فشل فى تطهير البشر ، ولم يخلص بالناموس أحد **«لأن من حفظ الناموس ، وإنما عثر فى واحدة ، فقد صار مجرماً فى الكل»** (يع ٢:١٠) . ولكن بولس الرسول يرى أننا تحررنا من الناموس إذ يقول : **«لأن ناموس الحياة فى المسيح يسوع ، قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت»** (رو ٨:٢) . وأيضاً : **«فإن الخطية لن تسودكم ، لأنكم لستم تحت الناموس ، بل تحت النعمة»** (رو ٦:١٤) . وقد أكمل الناموس نيابة عنا إذ **«افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة»** (غل ٣:١٣) . إذ **«قد كان الناموس مؤدبنا ـ إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان»** (غل ٣:٢٤) .

إلا أن السيد المسيح ، نظر إلى روح الناموس ، ووجد معناه الروحى ، الذى ركز عليه بشدة . فقد سأله ناموسى : **«أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ فقال يسوع «تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك . ومن كل فكرك ، هذه هى الوصية الأولى والعظمى ، والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك»** (مت ٢٢:٣٦ ـ ٤٠) وقد رأى بولس نفس المعنى فى قوله : **«لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تشته ، وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك»** (رو ١٣:٩) ، وفى قوله : **«لأن كل الناموس فى كلمه واحده تكمل : تحب قريبك كنفسك»** (غلا ٥:١٤) . وقول الرسول يعقوب :

«فإن كنتم تكملون الناموس الملوكى حسب الكتاب : تحب قريبك كنفسك فحسناً تفعلون» (يع ٢:٨) . ولكن بولس يوجه الناموس إلى غايته الأساسية فى قوله : **«لأن غاية الناموس .. هى المسيح للبر لكل من يؤمن»** (رو ١٠:٤) .

لاشك أننا نتفق أن الناموس كشريعة طقسية اكتمل فى المسيح ، وكشريعة أخلاقية أكملها أيضاً .

ما هو معنى الحرية ؟

ما هى الحرية المسيحية؟ هل هى انطلاقة الإنسان بلا قيود؟ وما الفرق بين الإنسان تحت سلطان الخطية أو تحت سلطان المسيح؟ ويتساءل البعض: أين الحرية إن كان الله قد خطط حياتنا وأخضعنا لنظام معين؟

يوضح الكتاب المقدس أن الإنسان - أصلاً - مبيع تحت الخطية . فللخطية السيادة الكاملة المطلقة عليه . والإنسان تحت هذه السيادة لا حرية له قط . إنه يتصرف فى إطارها ، ويخضع لسيادتها .

لكن المؤمن ، وقد خرج من سيادة الخطية ، صار حراً . وإن كان قد تحرر من الخطية فبالحقيقة - أى بدون زيف - صار حراً (يو ٨:٣٦) . معنى ذلك أن الإنسان تحت سيادة نعمة الله قد صارت له الحرية للتصرف والإختيار . له أن يختار ما يريد . لاشك أن ميوله هى لطاعة السيد ، ولإختيار الصواب . لكنه وهو يختار أسلوب سلوكه يختاره برضاه . ولكنه أيضاً قد يخطىء . والخطأ هنا نتيجة حريته . إنه حر فى تصرفه .

فالإنسان فى سيادة الخطية ، يتصرف الخطأ . حتى أعمال بره تحت

سلطان الخطية رديئة . لكنه تحت ظل نعمة الله ، فهو (حر) بحق ، يختار (بحق) مايريد أن يعمله . ولعل هذا هو السبب فى أن المؤمن يصارع دائماً مغريات الخطية والشر ، ويحاول أن ينتصر عليها .

ولاشك أن الله ، فى مخططه السماوى قد وضع خطة لكل إنسان أن يسلكها . فالإنسان تحت سيادة الخطية ، لا يقبلها ، بل يرفضها .

أما الإنسان تحت سيادة نعمة الله ، فهو يحاول أن يختار الأفضل بالنسبة له . ولاشك أن خطة الله له هى الأفضل . فهو يحاول جهده - يوماً بعد يوم - أن يسير فيها بإرادته . وقد يخطىء تارة ويصيب مرات أخرى . لكنه يختارها بإرادته .

يخطىء من يظن أن الحرية المسيحية هى أن نترك الإنسان بلا قيود فلا حرية بلا قيود . ويخطىء من يظن أن الحرية المسيحية هى أن يترك الله الإنسان يتصرف كما يشاء . فالحرية هنا لا تصبح «مسيحية» . وجدير بالذكر ، أنه لا توجد حرية «مطلقة» بلا قيود تحت الشمس .

مبادىء الحرية المسيحية

لكى نتعمق فى فهم الحرية المسيحية علينا أن ندرس المبادىء المسيحية العامة لهذه الحرية .

أولاً *- الحرية المسيحية لا تتفق مع القانونية أو وضع قوانين وشروط للحلال والحرام :*

«وأما الآن فقد تحررنا من الناموس . إذ مات الذى كنا ممسكين فيه . حتى نعبده بجدة الروح لا بعتق الحرف» (رو ٧:٦) . لهذا قال يسوع : **«إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات»** .

الواقع أن يسوع كان يريد أن يميز بين شيئين :

+ الوصايا الصريحة

+ تفسير الكتبة (أو قانون الكتبة) .

فقد كان للكتبة قانون شفوى تفسيرى للشريعة . قسموا الشريعة إلى ٦٣ فصلاً ، ثم طبعوها فى القرن الثالث الميلادى وسموها «المشنا» أو تلمود أورشليم . هذا الذى قال عنه يسوع فى الموعظة على الجبل «سمعتم» ، إنه لم يقصد الوصايا المكتوبة الصريحة التى جاءت فى الشريعة ، بل قصد تفسير الكتبة الذى كان تفسيراً شفوياً حتى أيام السيد المسيح . فإن يسوع لم يقصد أن يبطل الشريعة الأخلاقية القديمة ، وإنما أراد أن يكملها بطريق وبمعنى غير ما يفسره الكتبة .

ولكى نفهم تفسير الكتبة للشريعة ، ها ندرس معاً - مثلاً - بعض ما جاء فى شريعة يوم السبت . قالوا : إنه يوم راحة لا يجوز فيه عمل . فمن الأعمال التى تحدثوا عنها أعمال حمل الأشياء وفى هذا قالوا :

١ - من يحمل خمراً أو لبناً يكفى بلعه واحدة شر .

٢ - من يحمل عسلاً فى حجم ما يكفى ليوضع على جرح شر.

٣ ـ من يحمل ماء فى حجم ما يغسل به عيناً واحدة شر .

٤ ـ من يحمل حبراً يكفى لكتابة حرفين شر .

ومن الأعمال التى تحدثوا عنها «الشفاء يوم السبت» قالوا :

١ ـ إنه عموماً شر .

٢ ـ علاج الخطورة للأنف والأذن والحنجرة ليس شراً .

إن المسيح لم يقصد قط أن ينقض شريعة موسى ، وإنما أراد أن يكملها . لكنه أراد أن ينقض شريعة الكتبة الحرفية ، وفيها قال عنهم : **«باطلاً يعبدونني . وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس»** (مت ١٥:٩) وتساءل مرة : **«هل يحل فى السبت فعل الخير أم فعل الشر ؟ تخليص نفس أو إهلاكها ؟»** (لو ٦:٩) وشرح السيد المسيح طبيعة هذه الوصايا ، بأنهم **«يحزمون أحمالاً ثقيلة . عسرة الحمل . ويضعونها على أكتاف الناس . وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم»** (مت ٢٣:٤) ، **«إن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى»** (١كو ٣:٦) ، **«فإنه يلزم أن نعبده بجدة الروح لا بعتق الحرف»** (رو ٧:٦) .

هل وضعنا نحن شرائع حرفية كهذه؟ هل حددنا يوم الأحد مثلاً بالساعة؟ هل وضعنا قواعد حرفية للشر وللبر؟ إننا مرات كثيرة نسأل : «ماذا حلال وماذا حرام»؟ فهل نريدها شريعة حرفية؟ هل تشعر بأنك تحتاج لرخصة من الكنيسة (أو من أحد المؤمنين) تصرح لك «بالحلال والحرام»؟ .

لقد توسع يسوع فى الحديث عن «الحرفية» بأنها لا تتفق مع المبادىء المسيحية ، وفى هذا نتأمل فى أقواله عن يوم السبت . يوم الراحة : **«جاع التلاميذ وابتدأوا**

يقطفون سنابل ويأكلون . فالفريسيون لما نظروا قالوا له : هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت» (مت ١٢ : ١ ، ٢) ، وهنا حدثهم يسوع مذكراً إياهم بما فعله داود الملك حين جاع هو والذين معه ، **«كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط»** (مت ١٢ : ٣ ، ٤) . ثم قال : **«أو ما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء»** (مت ١٢ : ٦) ، ثم أضاف : **«ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً»** (مت ١٢ : ٨) .

لقد أخطأ البعض عندما سموا الموعظة على الجبل «بقوانين» ملكوت السموات ، فإن ملكوت السموات لا قوانين له ، وإنما له مبادىء عامة وضعها المسيح لننهج عليها ، ونطبقها على المواقف التى تواجهنا . إن القانون اليهودى لم يعط قوة للاوى ولا للكاهن لتخليص السامرى (لو ١ : ٢٩ - ٣٧) .

إن نقطة الإرتكاز هى الشريعة خلقت للإنسان ولم يخلق الإنسان للشريعة . فلقد خلق السبت للإنسان ولم يخلق الإنسان للسبت . لهذا فإن الشريعة وضعت لخدمة الإنسان ومعونته . فإذ فشلت القوانين ، قدم يسوع المبادىء العامة التى يريدنا أن ننبر عليها فى سلوكنا فى حياتنا الشخصية.

إن المشكلة الحقيقية التى نواجهها ، هى أننا لو وضعنا «قوانين حرفية» للسلوك قتلنا روح الفكر ورغبة الإختيار ، وحولنا «الإيمان» الفعال إلى «حرفية مميتة» . وهناك خطر آخر وهو لو أننا أبعدنا السلوك المسيحى عن حرفيات القوانين ، واجهنا مشكلة التيهان فى خضم الحياة بلا ضوابط . لنأخذ مثلاً لذلك : أننا نقول أن العهد الجديد لا يحدد العشور بالأسلوب الحرفى الذى

كان للعهد القديم ، بل إن الإنسان - فى مفهوم العهد الجديد - وكيل أمام الله ، ويلزم له أن يكون وكيلاً أميناً . فهو - كوكيل أمين - يوزع ما أعطاه الله على حياته اليومية ، جزء للتعليم ، وجزء للملبس ، وجزء للطعام ، وجزء للترفيه ، وجزء للخدمة الدينية وعمل الله . ولو تركنا الباب مفتوحاً على مصراعيه ، لوجدنا من المؤمنين من يعطى الباب الأخير (الخدمة الدينية عمل الله) ٥٪ من إيراده ، أو أقل . والبعض الآخر قد يدفع ١٠٪ من إيراده أو أكثر . لكننا لو حددنا ١٠٪ كالحد الأدنى ، فإن من ينجح فى الدفع يشعر بأنه «تقى وقديس» لأنه أوفى المطاليب ، ومن لا يدفعها يشعر بأنه «نجس وتعس» لأنه لم يوف المطاليب ، لابد للمؤمن أن يكون مسئولاً ، يختار ، ويوزع بأمانة . فإن «حرية» المؤمن ، لا تدفعه للإهمال ، بل لحمل المسئولية أمام الله .

والموقف الحقيقى الذى ينبغى أن يقفه الفرد أمام الله ، هو موقف النمو ... فإن كان اليوم قد تمكن من عمل كذا وكذا ، فهو ينمو فى النعمة يوماً بعد يوم ، حتى يصل إلى «القامة» المطلوبة فى المسيح .

فالحرفية لها مساوىء عديدة ... وتحتاج أيضاً للإحتراس من أخطار البعد عن الحرفية أيضاً .

ثانياً - الحرية المسيحية تهتم بالأعماق أكثر من المظاهر :

لو درسنا لماذا تحدث المسيح عن الصلاة والصدقة والصوم فى الموعظة على الجبل (مت ٦) لوجدنا أنه لم يقصد أن يتحدث عنها كموضوعات ، لأنها معروفة . وإنما أراد أن يعالج من يصنعون الصدقة قدام الناس (مت ٦:١) ،

ومن يصلون قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع (مت ٦:٥) ، ومن يصومون عابسين ليظهروا صائمين (مت ٦:١٦) ، فإن بر الكتبة والفريسيين اعتمد على المظاهر أكثر من الجوهر ، ويظهر ذلك فى الأمور الآتية :

أ ـ أعلنوا المظاهر الدينية :

«كل أعمالهم يعملونها لكى ينظرهم الناس ، فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم» (مت ٢٣:٥) ، وكانوا **«يحبون المتكأ الأول . فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس : سيدى سيدى»** (مت ٢٣:٦ ، ٧) . متى مارس الإنسان الفضيلة ، لكى يظهر تقياً أمام الناس ، ما كانت فضيلته فضيلة .

ب ـ بالغوا فى الأعمال الصالحة دون إيمان قلبى :

فقد طالبت الشريعة بصوم يوم الأحد فى الأسبوع ، فصاموا يومين ، طالبت الشريعة بعشور الغلال والبهائم فأضافوا إليها النعناع والشبث والكمون . لهذا قال لهم يسوع : **«ويل لكم .. لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعله تطيلون صلواتكم»** (مت ٢٣:١٤) ، وفى هذا تحدث عاموس النبى (٥:٢١ ـ ٢٣) : «بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ بإعتكافاتكم. إنى إذا قدمتم لى محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى ، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها . أبعد عنى ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع» . بل أن عاموس عندما شاهد مظاهر التمسك الدينى السطحى دون إيمان قلب ، قال لهم : **«هلم إلى بيت أيل ، وإذنبوا إلى الجلجال وأكثروا الذنوب ، واحضروا كل صباح ذبائحكم وكل ثلاثة أيام**

عشوركم» (عا ٤:٤) . ففى هذه النبوات الساخرة أشار عاموس إلى أن عبادة الله فى الجلجال أو فى بيت أيل لا يقيم الله لها وزناً مادامت مجرد مظاهر سطحية لا عمق لها فى نفس الإنسان . وقد واجه المسيح نفس المشكلات وتحدث عنها بصراحة . فقد وجه اللوم لأولئك الذين **«يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل»** (مت ٢٣ : ٢٤) وأولئك الذين يلومون الناس على القذى التافه الذى فى عيون الناس ، ولا يحسون بالخشبة التى فى عيونهم (مت ١:٧ ـ ٥) ، وكان أروع وصف وصفهم به يسوع ، عندما قال : **«أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة ، وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً»** (لو ٣٩:١١) .

لقد ظن اليهود أن الله يطالبهم بالممارسات الدينيه فقط ، دون تطبيق مبادئها على سلوكهم وحياتهم الشخصية .

جـ ـ استغلوا المظاهر الدينية ليحصلوا على مدح الناس :

وفى هذا قال لهم يسوع **«استوفوا أجرهم»** . فإن رضى الله لم يكن له المكان الأول فى تفكيرهم . لذلك ضربوا بالأبواق أمامهم ليوزعوا الصدقات فى الشوارع وعلى قارعة الطرق .

ولنفس السبب وقف الفريسى يصلى فى نفسه أمام الهيكل ليراه الجميع (لو ١٨) . ولعل المسيح كان يهتم بأن يقول لهم إنهم استوفوا أجرهم.

وفى هذا أخطار عديدة ... دأب البعض على تحريم بعض المقدسات والأمور الطاهرة لدرجة أنهم يحرمون الأشياء البريئة ، علهم يحصلون على تقدير من يحيط بهم «إنهم قديسون» ، وبذلك تتحول حياة الإيمان عند أولئك كحرفيات سلوك

محددة ، تدفعهم إلى غرور روحى رهيب يعرض كل حياتهم الروحية للإنهيار .

د ـ استغلوا المظاهر الدينيه لكى يخفوا وراءها مفاسد كثيرة :

وقد كشف يسوع شيئاً من هذا فى قوله : **«وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم . فإن الله أوصى قائلاً أكرم أباك وأمك .. وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذى تنتفع به منى ، فلا يكرم أباه أو أمه ، فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم . يامراؤون حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلاً : «يقترب إلىَّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً . وباطلاً يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس»** (مت ١:١٥ ـ ٩) ، وبذلك كشف يسوع أن البعض قدموا هبات وعطايا لله (قربان) ليس حباً لله ، وإنما ليحرموا الورثة منها . فكم من أناس قدموا أملاكهم وقفاً للكنيسة ، ليس حباً فى الكنيسة ، بل ليحرموا الورثة منها . لقد علل عاموس كيف أخفى الناس مفاسدهم وراء مظاهر البر . قال الفريسى : **«هكذا قال الرب من أجل ذنوب إسرائيل الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه ، لأنهم باعوا البار بالفضة والبائس لأجل نعلين . الذين يتهممون تراب الأرض على رؤوس المساكين ، ويصدون سبيل البائسين ، ويذهب رجل وأبوه إلى صبية واحدة حتى يدنسوا اسم قدسى . ويتمددون على ثياب مرهونة بجانب كل مذبح ويشربون خمر المغرمين فى بيت آلهتهم»** (عا ٦:٢ ـ ٨) ، فإن عاموس فى هذه السطور يوضح لنا خطايا ارتكبها الناس باسم التدين السطحى . فهو يصف الرشوة التى أعمت القضاء فحكموا على البرىء وأطلقوا سراح المذنب . لقد باعوا البار بالفضة!؟ .

وقد صرحت الشريعة للقاضى أن يحكم ببيع المدين لشخص آخر غير

المداين إلى أن يسدد دينه ، ثم يطلق سراحه . وقد كانت مدة البيع خمس أو عشر سنوات ، وكان يشترط فيها أن الدين كبير لدرجة أنه يستحق بيع المدين ، ولهذا فإن عاموس يدهش لأن القضاة حكموا ببيع المدين لأجل دين تافه ، قيمة «نعلين» ، إن الحكم فى ظاهرة يتفق مع الشريعة ، وفى مضمونه لا يتفق **«باعوا البائس لأجل نعلين»** .

وكم استخدم الأغنياء من حيل ليغتصبوا بها أرض الفقير ويستثمروها لمصلحتهم . فإنهم كانوا «يتهممون تراب الأرض على رؤوس المساكين؟ ويصدون سبيل البائسين» . بقسوة ووحشية دون رحمة .

ولعل عاموس يكشف لنا جانباً آخر فى قوله : **«يتمددون على ثياب مرهونة»** (عا ٢:٨) ، فإن شريعة الرهن كانت تسمح للشخص بأن يأخذ مقابل الرهن ثوب المديون ، وفى نفس الوقت كانت الشريعة تلزمه بأن يعيد الثوب للمديون فى الليل لينام به ويدفأ ، ثم يستعيده فى الصباح ، ولكن المداين - فى مرات كثيرة - ولكى لا يعيد الثوب إلى صاحبه ، كان يأخذ الثوب أمام الهيكل ، ويتمدد عليه ، بحجة أنه يضع الثوب أمام الله ، وبذلك يخدر ضميره لكى لا يعيد الثوب لصاحبه مساء .

كما أن عاموس كشف عيباً آخر ، من هذا النوع فى قوله : **«يشربون خمر المغرمين»** (عا ٢:٨) ، فإن الغرامات والضرائب التى جمعوها من الشعب ، بدل أن يسلموها للدولة ، كانوا يشربون بها خمراً فى الهيكل أمام الله ، وبذلك كانوا يبررون موقفهم ! والسيد المسيح يعلن صراحة «اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله» .

لقد ظن الشعب بأن «الشريعة» هى آلهة ، وحاولوا تنفيذها حرفياً ، دون عمق . إنهم كانوا يقطعون ، علاقتهم بالله ، رغم أنهم كانوا ينفذون الشريعة بحرفيتها . ما قيمة مظاهر العبادة إن كانت تخفى وراءها أخطر المفاسد كالكبرياء والأنانية والمجادلة والإساءة إلى الآخرين واحتقارهم ... إلى غير ذلك . «فهل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟

«فالاستماع أفضل من الذبيحة والاصغاء أفضل من لحم الكباش» (١صم ١٥:٢٢) . إن الخطية ليست هى عدم إتمام الفرائض ، الخطية هى قطع العلاقة بالله .

هـ - وهناك خطايا لا تمسك ظاهرياً :

فخطايا الكبرياء والأنانية لا تمسك بوضوح كخطايا القتل والسرقة . وهى تتصل بالنية الداخلية أكثر من العمل الظاهرى ، وهى خطايا روحية خطيرة ، وفى هذا يقول السيد المسيح : **«ليس من يقول لى يارب . يارب يدخل ملكوت السموات ، بل من يفعل إرادة أبى الذى فى السموات»** (مت ٧:٢١) .

ويتحدث يسوع عن الرياء كخطية مخيفة فى قوله : «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . ولعله تطيلون صلواتكم ... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون ، وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان» .

الزينة الخارجية :

ودعنا نأخذ مثلاً آخر . وسأضع أمامكم هذه الآيات :

أ ـ «لا تكن زينتكم الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب» (١بط ٣:٣) .

ب ـ «فإنه هكذا كانت قديماً النساء القديسات أيضاً المتوكلات على الله يزين أنفسهن» (١بط ٣:٥) .

جـ ـ «وحدث عندما فرغت الجمال من الشرب ، أن الرجل أخذ خزامة ذهب وزنها نصف شاقل وسوارين على يديها وزنها عشرة شواقل ذهب» (تك ٢٤:٢٢) .

د ـ «لما سمع الشعب هذا الكلام ، ناحوا ولم يضع أحد زينته عليه» (خر ٣٣:٣ ، ٤) .

ر ـ «فاتكلت على جمالك وأخذت أمتعة زينتك من ذهبي ومن فضتي التي أعطيتك وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها» (حز ١٦:١٥ ـ ١٧) .

و ـ «من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن ... ينزع السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائروالأهلة . والحلق والأساور والبراقع..» (١إش ٣:١٦ ـ ٢٤) .

هل ترى معي في هذه الآيات :

١ ـ الزينة الأفضل هي زينة القلب .

٢ ـ منعت الزينة في حالة ارتكاب الشعب للشر كرمز لحالة الشر التي كان الإنسان عليها .

٣ ـ لم تمنع الزينة عن المرأة فى العهدين القديم والجديد .

٤ ـ خطر الزينة هى رغبة الإغراء والإغواء .

هذه مجرد أمثلة ، فهل نطبق الأمور المختلفة كما طبقناها هنا على كلمة الله لنرى متى تكون صواباً ومتى تكون شراً؟

ثالثاً* ـ *الحرية المسيحية تميز بين ما هو شر فى حد ذاته وما يمكن استخدامه فى الخير والشر :

إن المال والأملاك ... الإذاعة والسينما ، يمكن أن تكون خيراً أو شراً . لأن الأمر يتوقف على مدى مقدرتك على الإختيار بين الخير والشر ، كما يتوقف على الذين يضعون البرامج واختيارهم لها . قال البعض إنهم كانوا يستريحون جداً لو أن يسوع وضع لهم فى الموعظة على الجبل قائمة لما يجوز عمله . لكن المسيحية تعطينا إهتماماً أكبر بالتدريب على «المقدرة على الإختيار» وبذلك نختار ما يتفق مع مبادىء السيد المسيح ، ونرفض ما لا يتفق ، إن أهم عنصر فى تربية أبنائنا هو أن نربيهم على هذه المقدرة ، وبذلك يمكنهم التحكم فيما يريدون وفيما لا يريدون .

إن تطور العصر سيرغم الجيل المقبل على مشاهدة التليفزيون. إن تحريم التليفزيون لا يجدى شيئاً بالنظر للمستقبل ، إن الأطفال يتحدثون عن مشاهداتهم التليفزيونية فى المدارس ، وحرمان بعض الأطفال منه لا ينفعهم ، إن الحل هو تدريبهم بحكمة وحرص على إختيار ما يشاهدونه ، وما لا يشاهدونه ، وهذا يتم بالتفاهم والمناقشة المقنعة .

رابعـــاً ـ الحرية المسيحية تعطى كل فرد حق عمل ما يستريح ضميره المسيحى الشخصى عليه :

قد تختلف الضمائر المسيحية فى أحكامها ، وليس للبشر أن يحكموا على بعضهم البعض . يحلل بولس الرسول هذا الموقف فى قوله : «واحد يؤمن أن يأكل كل شىء وأما الضعيف فيأكل بقولاً ... واحد يعتبر يوماً دون يوم وآخر يعتبر كل يوم .

«فليتيقن كل واحد فى عقله . الذى يهتم باليوم فللرب يهتم . والذى لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم . والذى يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله . والذى لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله» (رو ١٤:٢ ، ٥ ، ٦) .

وهنا يعالج الرسول بولس قضيتين فكريتين :

١ ـ الإهتمام بيوم الرب ، وكيفية الإهتمام به ، فكل واحد يختلف عن الآخر فى كيفية تقديس يوم الرب .

٢ ـ الأكل مما ذبح للأوثان ، ولهذا قصة :

كان اللحم يذبح فى الملحمة (مكان بيع اللحوم) ، وكان اللحم يذبح لإله وثنى . لنأخذ مثلاً : الآلهة ديانا . فاللحم المذبوح للإلهة ديانا مقدس لها ، ومن يشترى اللحم يشترى من وليمة الإلهة ديانا . وعندما يجلسون للطعام تصبح المائدة مائدة الإلهة ديانا . وقبل تناول الطعام يرفعون كئوس الخمر ويشربون نخب الإلهة ديانا ثم يأكلون ، لهذا فإن أكل اللحم أيام بولس كان

أقرب إلى عبادة الوثن منه إلى مجرد تناول طعام عادى .

إن بولس لا يرى عيباً فى الأكل من هذا اللحم ، فهو لا يؤمن أن ديانا آلهة . لذلك قال : **«كل ما يباع فى الملحمة كلوه غير فاحصين عن شيء من أجل الضمير»** (١كو ١٠:٢٥) ، وشرح السبب فى ذلك بقوله : **«فإن كنت أنا أتناول بشكر ، فلماذا يفترى علىّ لأجل ما أشكر عليه»** (١كو ١٠:٣٠) . لهذا فإن كل إنسان يجب أن يكون مكتفياً ومقتنعاً بفكرته الشخصية ورأيه أمام الله أنه على صواب . إن ما يمليه عليك ضميرك هو سيد الأحكام **«ألك إيمان؟ فليكن لك بنفسك أمام الله . طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه . وأما الذى يرتاب فإن أكل يدان ، لأن ذلك ليس من الإيمان وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية»** (رو ١٤:٢٢ ، ٢٣) .

إن الحرية المسيحية تعطى المؤمن حق الإختيار، أمام ضميره المسيحى.

وهنا يتساءل أحدهم قائلاً : «لو تركنا كل واحد لضميره ، لفعل الشر ، وقال إن ضميره مستريح على ذلك؟ «كلا! إننى لا أخشى أن أضع مسئولية كل فرد على ضميره المسيحى الشخصى . إن مشكلتنا هى أن المؤمن يريد أن يأخذ «رخصة» من آخرين أن هذا حلال وذاك حرام ، ثم يتصرف بعد ذلك على ضوء ما يسمع . فلو كان تصرفه خطأ وضع اللوم على من أرشده . هذا لا يتفق إطلاقاً مع كلمة الله . إن ضميرك مسئول عن كل تصرفاتك أمام الله . ومن يخدع ضميره ، أو يخدره ، سوف يقاسى أشد الآلام عندما يستيقظ ضميره . إن إعطاء السلطان للضمير الشخصى لهو أخطر سلطان فى حياة الفرد .

لهذا نحتاج لأن ندرب أولادنا من الصغر ، لكى يعرفوا كيف يختارون بين

الحسن والردىء . فمتى كبروا ، كانوا يعرفون أن يمارسوها بروح المحبة والإيمان :

خامساً _- الحرية المسيحية لا تسمح لأحد بأن يحكم على غيره :_

دعنا نعود مرة أخرى إلى قصة الأكل مما ذبح للأوثان . لقد أحس بولس بأن البعض يتعثرون من هذا اللحم . وظهرت جماعتان من المؤمنين ، جماعة تأكل منه وجماعة ترفض الأكل . وخشى بولس أن مجرد وجود هاتين الجماعتين قد يعيق الخدمة والشهادة . لهذا سارع بالقول : **«فلا يزدر من يأكل بمن لا يأكل . ولا يدن من لا يأكل من يأكل لأن الله قبله . من أنت يامن تدين عبد غيرك؟ هو لمولاه يثبت أو يسقط ولكنه سيثبت الآن الله قادر أن يثبته . وأما أنت فلماذا تدين أخاك؟ أوأنت أيضاً لماذا تزدرى بأخيك؟ لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسى المسيح»** (رو ١٤ :٣ ، ٤ ، ١٠) .

إن القانونية والحرفية تساعدان على التفتيش على عيوب الغير وأخطائهم . ولكن المسيح يقول : **«لا تدينوا لكى لا تدانوا»** (مت ٧:١) . إن مشكلة كنائسنا وهيئاتنا أننا نحكم على بعضنا البعض ، بينما لا يجوز لنا أن نحكم على أحد قبل الوقت : **«من هو ضعيف فى الإيمان فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار»** (رو ١٤:١) . بل أن بولس نفسه ، وهو لا يمتنع عن الأكل مما ذبح للأصنام يقول : **«لأنه لماذا يحكم فى حريتى من ضمير آخر؟»** (١كو ١٠:٢٩) ، ولما ثار الفريسيون على التلاميذ بسبب عدم غسيل أيديهم قبل الطعام قال لهم يسوع : **«الأكل بأيدى غير مغسولة لا ينجس الإنسان»** (مت ١٥:٢٠) .

ولعل السبب من وراء ذلك أنك عندما تحكم على غيرك لا ترى عيوبك

الشخصية . بل قد تشعر بكبرياء على أخيك . فما أسهل أن نرى عيوب الغير وننتقدها قبل أن نرى عيوب أنفسنا ، وفي هذا قال يسوع : **«كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك .. يامرائي أخرج أولاً الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك»** (مت ٧ : ٤ ، ٥) .

لا يجوز لنا أن نحكم على غيرنا فالحكم لله وحده . لم يحكم السيد المسيح على الذين صلبوه بل طلب لهم الرحمة والمغفرة .

سادساً - الحرية المسيحية حرية منظمة لها حدود :

إنها حرية أعضاء الجسد التي تتحرك في حدود الجسد . حرية القطار الذي يتحرك في حدود القضبان . حرية الأغصان التي تتمايل ولكنها دون أن تبتعد عن الكرمة .

فما هي الحرية المسيحية ؟

أ - لقد حدد الكتاب المقدس أعمال الظلمة ووضحها ، وأعطانا نماذج لها :

لهذا لا يجوز لنا أن نستغل الحرية فرصة للجسد (غلا ٥:١٣) . **«كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر بل كعبيد الله»** (١بط ٢:١٦) . إن حريتنا حرية منتظمة في دائرة الروح القدس والحكم الإلهي واختبار الضمير النفسي .

وأعمال الجسد ظاهرة ، التي هي : **«زنى عهارة نجاسة دعارة ، عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة ، حسد قتل سكر**

بطر ، وأمثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضاً ، إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله» (غلا ٥:١٩ ـ ٢١) .

لا يجوز لنا أن نختلف فيما سجله الوحى كعمل شرير ، ولكننا قد نختلف فى تحليل أو تحريم أشياء فرعية .

ب ـ مراعاة عدم إعثار الضعفاء :

يحدثنا بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى كورنثوس (٦:١٢) . **«كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق . كل الأشياء تحل لى لكن لا يتسلط علىّ شىء»** وفى (١٠:٢٣) يقول : **«كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق ، كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء تبنى»** . فإنه ليس فيما خلقه الله ما ليس طاهراً فى ذاته . العالم مقدس ، وجنة عدن مقدسة ولكن الخطية دخيلة عليهما .

إن مهمة أكل اللحم كانت بالنسبة للبعض مشاركة خطيرة فى عبادة الأصنام ، وبالنسبة للبعض الآخر ـ الذى ضميرهم قوى ـ شيئاً غير معثر . وفى هذا قال بولس : **«إن كان طعام يعثر أخى فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أعثر أخى»** (١كو ٨:١٣) .

فإن صاحب الضمير القوى الذى لا يعثر يجب أن يحترس : **«ولكن أنظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء»** (١كو ٨:٩) .

فإن الذى يتحكم فى مبادئنا هو : رغبة البناء ، وإرادة المحبة فلكل مؤمن رغبة فى أن يعمل ما يبنى غيره على الإيمان الأقدس . ودافع المحبة للأخ

الضعيف يجعله يمتنع عما هو برىء وطاهر لضميره الشخصى حتى لا يتعثر غيره . **«ولكن ليس العلم فى الجميع . بل أناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذبح لوثن . فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس»** (١كو ٨:٧) .

جـ - لا يجوز أن أكذب وأخدع غيرى خوفاً من عثرته :

قال شخص فى عظة : «التليفزيون شر» . سأله صديق وهو خارج بعد العظة : «لماذا تقول إن التليفزيون شر ، رغم أنك عندك تليفزيون فى منزلك؟ «قال الواعظ : «خفت عثرة الآخرين» ! لا شك أن الكذب ، عثرة أشر !

سابعاً *- الحرية المسيحية تسمح لك باختيار سبيل التقشف أو عدمه :*

تحدث يسوع مقارناً نفسه بيوحنا المعمدان قال : **«لأنه جـاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان . جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر . محب للعشارين والخطاة . والحكمة تبررت من جميع بنيها»** (لو ٧:٣٣ - ٣٥) .

من هذا نرى أن يوحنا المعمدان سار على نظام النذير فى العهد القديم (راجع سفر العدد ٦) . وكانت شريعته التقشف ، والحرمان من المتعة . والإنفصال عن المجتمع . إلا أن يسوع اندمج فى المجتمعات . واختلط بالعشارين والخطاة . حضر حفلات العُرس ، وولائم الفريسيين ، وأكل معهم وشرب .

الطريقان يتفقان مع المسيحية ، وليس من حق المتقشف أن يدين من لا يحرم نفسه من المتعة ، كما أنه ليس من حق الأخير أن يزدرى بالمتقشف .

ثامناً ـ الحرية المسيحية تنادى بالتمسك ببر المسيح وليس بالبر الذاتى :

قال بولس : **«ليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بإيمان المسيح البر الذى من الله بالإيمان»** (فى ٣:٩) . إن مقياس الحياة المسيحية الصادقة ، والسلوك المسيحى السليم ، لا يعتمد على مجرد قوانين وضعية إن عملتها صرت باراً . إن الإيمان المسيحى يعتمد على سلوك صحيح سليم . بل أنك فى مرات كثيرة لا تقدر أن تحكم على سلوك معين أنه صواب أو أنه خطأ سوى عند مواجهة الأمر .

إن مبادىء المسيحية ليست هى التمييز بين ما هو صواب ، وماليس صواباً بل هى :

التمييز بين الخير والشر

أو التمييز بين الخير والخير

أو التمييز بين الشر والشر

فإنك أحياناً تواجه خيرين ، وتحتار ماذا تختار منهما . وكذلك أحياناً تواجه شرين ، ولا تدرى ماذا يكون أهون الشرين لتختاره .

شخص مؤمن فى باخرة تكاد تغرق . وفى الباخرة ثلاثين شخصاً . لكن قارب النجاة لا يسع سوى عشرين شخصاً .

فماذا يختار ؟ هل يقف مع العشرة ويموت بإرادته ، ويترك العشرين يخلصون؟ أم ينجو بنفسه فى القارب ولا يكترث؟ وإن كان مكانه فى مؤخرة الصف ، وهو ليس ضمن العشرين ، فهل يثبت فى مكانه؟ أم ينزل إلى قارب

النجاة رغم أنه لا يتسع لأكثر من عشرين . فقد يغرق أيضاً؟!

وما رأيك في بواب مؤمن . جاءت أمامه مجموعة ثائرة من المتظاهرين الذين يريدون تحطيم كل شيء ، وسألوه عن أهل البيت : هل هم موجودون أو لا؟ إن قال إنهم موجودون اشترك في القتل أو ساعد الثوار على قتلهم ، وإن أنكر يكون قد كذب . فماذا يختار؟

لاشك أن الوصول إلى إجابة حاسمة في مثل هذه الحالات ، يعاوننا الله ـ على الوصول إليها في وقتها . لكننا يجب أن نكون متفتحين لمثل هذه الأحوال .

لا يظن أحد أننا بهذا نبرر الخطأ ! فقد يسأل شخص : هل الكذب في المحكمة ـ لكي أنقذ إنساناً ـ صواب؟ كيف نبرر الكذب؟ وكيف نهرب من إدانة المخطيء؟ أليست مسئوليتنا أن «ندين» الخطأ؟ إن تبرئة المذنب شر ، وبالتالي ، الكذب شر . وما رأيك في تلميذ يغش في الإمتحان لينجح ! إنه يريد أن يصل إلى النجاح على أكتاف معلومات مسروقة ، ليست له ، وليست في حوزته . فالغش هنا شر ، والنجاح على أساس الغش شر .

إن الأهداف متى كانت أنانية ، تتجه لتحقيق مصالح ذاتية ، أو متى كانت تبرر الخطأ ، فهي شر . إن مواجهة مواقف «شر» و«شر» ، عندما يلتزم الإنسان بالإختيار بينهما ، هي مواجهة المواقف التي يستحيل الخروج منها . وقد اخترت مثل «الباخرة التي تغرق» أساساً لهذا البحث . لايجوز أن تكون هذه الفكرة مبرراً لإرتكاب الخطأ ، بل إنها سراج ينير سبيل الإنسان عندما تستحيل إمكانيات الحياة أمامه ، وتنحصر في إطار محدود ، فماذا يعمل؟

الفصل السابع

ما هو عمل المسيحى داخل المجتمع

الإنسان المسيحى بالنسبة للمجتمع يمكن توزيعه على ثلاث فئات :

فى الأولى : المسيحى الذى لم يع بعد مسيحيته وحقوقها .

وفى الثانية : المسيحى الذى وعى مسيحيته وحقوقها ولم يع بعد وإجباته بالنسبة للمجتمع .

وفى الثالثة : المسيحى الذى بلغته الرسالة كاملة بالنسبة للمجتمع . والإنتقال من فئة إلى فئة قد يطول زمانه بالنسبة لضعف التسليم الروحى .

وهذه الفئات أو المراحل لم تكن موجودة أصلاً فى الكنيسة الأولى بهذا التجديد الزمنى المتباعد ، لأن المؤمنين كانوا بمجرد أن ينالوا العماد ، كانوا يصبحون لائقين فى الحال لحمل رسالة الكنيسة . أما الآن فالأمر ليس

كذلك لعوامل أصابت الكنيسة وأصابت المؤمنين وأخصها عدم البساطة وعدم الغيرة على خلاص نفوس الناس ... ولم يعد التحول من الحياة حسب الجسد للحياة حسب الروح أمراً بسيطاً كالأول .

سمات الفئة الأولى :

وفيها لا يكون المسيحي قد وعى بعد مسيحيته ولا تكون تعاليم المسيح قد تحولت فيه بعد إلى فعل داخلي أي إلى حياة ، ولا تكون الحرارة الإلهية قد دخلت قلبه التي هي علامة فاعلية الروح القدس القادرة على التحويل والتغيير والتجديد .

ويكون الإنسان في هذه الحالة لا يزال يعيش بأخلاقه وعاداته وميوله ومزاجه التي اكتسبها من الأسرة والبيئة ، أي لم يتغير بعد . ولهذا يكون أقرب للتأثر بالبيئة وأخلاقها السائدة من تأثره بالإنجيل لذلك يكون عرضة ليبتلعه التيار بكل سهولة مهما كان ذا اسم أو ذا صيت أو ذا شكل ، لأن قوة مقاومة الإغراءات تكون ضعيفة فيه للغاية . والإنسان في هذه المرحلة ، ولو أنه يكون محسوباً عضواً في الكنيسة ، إلا أنه يكون في الحقيقة غير مدرك بعد لمسئوليته الروحية لا بالنسبة للمجتمع ولا بالنسبة للكنيسة ولا بالنسبة لنفسه ..

فهو يسمع عن مسئولية الكنيسة لرسالة الإنجيل ، ولكنه لا يحس بنصيبه في هذه المسئولية كما أنه لا يحس بأي الحاح باطني يجعله ينشغل بخلاص

الناس الذين يهلكون حوله ولا يشعر أيضاً أن خلاصه الشخصي مربوط بخلاص الآخرين . كما أن الإنسان في هذه المرحلة يمكنه أن يتحدث عما هو واجب على الكنيسة ، ولكن يستثني نفسه بكل سهولة وبكل ارتياح . والسبب أنه لم يعد بعد عضواً حقيقياً في جسم المسيح ، أي الكنيسة ، حتى يحس بشركة الألم والفرح والمسئولية . فكلمات المسيح وجروحه وصليبه لا تزال غريبة عنه !!

آه ما أعظم الخسارة التي تخسرها الكنيسة بتسليم من هم في هذه المرحلة وظيفة تمثيل الكنيسة للإتصال بالعالم !!

سمات الفئة الثانية :

وفيها لا يكون المسيحي قد وعى بعد مسيحيته وعياً داخلياً ، وتحولت تعاليم المسيح فيه إلى حياة وإلى حرارة تظل تكمل تحويله داخلياً وتغير شكله يوماً بعد يوم . هنا يكون الإنسان في حالة يقظة وفعل ، ولكنه يكون غير مهيأ «للتفاعل» مع المجتمع الذي يعيش فيه . أي أنه بالرغم من قدرته المدهشة في الذود عن نفسه ضد شرور الوسط وإغراءات إنحلال البيئة الأمور التي كان ينجذب إليها سابقاً ، إلا أنه لا يقوى على إقناع الغير بضررها وفسادها ... وهو بهذا يعتبر أنه ناجح في حربة السلبية داخل المجتمع ليحمي نفسه من التيارات ، ولكنه لا يكون قد تسلح بعد بأسلحة الحرب الإيجابية التي بهايستطيع أن يوقف التيار ليحمي المجتمع نفسه من شروره .

وهو بسبب وقوفه هذا الموقف السلبى من المجتمع يكون عرضة دائماً للسخرية والنقد الشديد لأنه لا يجارى التيار ، وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يصده أو يوقفه !!

الإنسان المسيحى فى هذه المرحلة يبدأ يحس بواجبات الكنيسة ومسئولياتها الثقيلة والخطيرة ويئن جداً ، ولكن أنين العاجز الذى يرى الحرب قائمة والجهاد منصوب والعدو تافه منتهى التفاهة ، ولكنه إذ يرى نفسه عارياً من كل سلاح يقف حزيناً باكياً ... ولكن هذه الأحاسيس والمشاعر لا تمر فارغة بل هى الوقود النارى الذى يضطرم فى الداخل لتجديد الحياة كلها فهذه المرحلة هى مرحلة التعبئة الداخلية التى تعمل فيها حرارة الروح القدس وأسلحة النعمة لتهذيب النفس وبنائها على الحب والبذل وقطع ربطها العتيقة التى كانت تشدها إلى الأرض .

وتظل هذه المرحلة رهينة بتأجج فعل الروح فى القلب ، إلى أن تتبدل الصورة العتيقة التى يصورها القلب لنفسه وللعالم وتنمو صورة جديدة من وسط لهيب المحبة فيها يظهر الإنسان الجديد متهيئاً لحمل السلاح والشهادة حتى الموت ... حيث يصبح نظر الإنسان مثبتاً إلى فوق لا ينثنى يميناً أو يساراً .

هذه الفئة الغيورة هى التى يربيها الروح القدس لحساب الكنيسة لتحمل الشهادة والصليب .

سمات الفئة الثالثة :

وفيها يكون الإنسان قد نجح فى حربه الداخلية مع نفسه ، وأخضع ميوله وشهواته وآماله لمشيئة المسيح ، وضبط ذاته ضبطاً روحياً أهله أن يسلمها للرب تسليماً ناجحاً يزداد قوة وعمقاً كل يوم ، وأصبح يحس أنه ليس حراً فى تصرفاته لأن يد الرب تمسكه وتقوده ... كما أنه لا يعد فى نظر نفسه قادراً على شىء ، ولكن يثق فى الرب أنه قادراً أن يصنع به كل شىء ـ لو أراد ـ وهو يتبع هذه يتبع هذه الإرادة حتى الموت .. وبهذا يتسلح الإنسان بأقوى سلاح فى حربه الإيجابية تجاه العالم ، وهو الإختفاء وراء الرب فينجح دائماً وفى نفس الوقت ينجو من الغرور !!

وفى هذه المرحلة يحس الإنسان أنه أصبح جزء لا يتجزأ من الكنيسة ومن جسم المسيح المصلوب المتألم للعالم !! فهو يرى نفسه دائماً مسئولاً عن الكنيسة وعن ضعفها وعن رسالتها من أقصى الأرض إلى أقصاها ، يئن تحت نيرها ويود لو يزاد نصيبه الشخصى من آلامها وعارها ، وذلك ليس طموحاً ولا اجتراء ذاتياً لأنه يكون فى الحقيقة متمنطقاً بأسرارها ويجرى فى دمه حب المسيح ووصاياه . وهو لا يهدأ ولا يستطيع أن يهدأ عن الشهادة للمسيح والإنجيل أينما وجد وكيفما كان ..

وفى هذه الفئة نجد الشباب الملتحف بالنعمة والحكمة ، والشيوخ الذين لم يشيخوا أبداً المستنيرين بالحق والتجربة .

هؤلاء هم الذين «أفرزهم الروح القدس للخدمة» إذ سبق فصورهم وهم فى البطن للعمل .

هؤلاء يتميزون بإحساسهم المرهف للمسئولية . لا يهدأون ولا يجعلون الله يهدأ ، بصراخهم من أجل الخدمة التى يحسونها بصفة مستمرة تجاه كل إنسان فى كل مكان ، معتبرين أن الشهادة للمسيح والإنجيل أولى من الأكل والراحة والنوم والصحة بل وأهم من السمعة ومن الحياة كلها ... وهم بهذا الإحساس يقدرون أن يشهدوا بقوة وبفرح وحرية وإقتناع ويشرحون بقلبهم سبب الرجاء الذى فيهم ، ويكون إحساسهم هذا الملتهب بالحب والفرح والبذل حتى الموت هو عينه القوة المحولة التى تغير قلوب الناس وهو عينه البرهان المقنع على صدق رسالتهم وهو أيضاً السند الذى يسند ويثبت المؤمنين الجدد إزاء كل التجارب التى تلازم المؤمنين فى بدء حياتهم ...

هذه الفئة هى قلب الكنيسة وهى الكتاب المقدس المنحنى بالفرح والتهليل تحت نير المسيح الحلو ...

وعلى أساس الحالة الداخلية التى يكون فيها الإنسان المسيحى تتحدد مسئوليته تجاه المجتمع وتتوقف النتائج :

فأصحاب الفئة الأولى :

يكون من الخطورة والمجازفة أن توضع عليهم أى مسئولية تجاه المجتمع، لأن النتائج معروفة ومفروغ من أمرها وإن كانت هناك نصيحة

مخلصة بالنسبة لهم ، فهى رفض كل مسئولية تقدم لهم والإكتفاء بالتمسك بالإنجيل والصلاة بكل اصرار حتى يشرق نور المسيح فى قلوبهم ، على أن التزامهم بطاعة مرشديهم وآبائهم هى بالنسبة لهم بمثابة صمام الأمان إلى أن يقبلوا من الله القدرة على الفهم والتمييز الداخلى الذى يساعدهم على النمو بسرعة .

أما أصحاب الفئة الثانية :

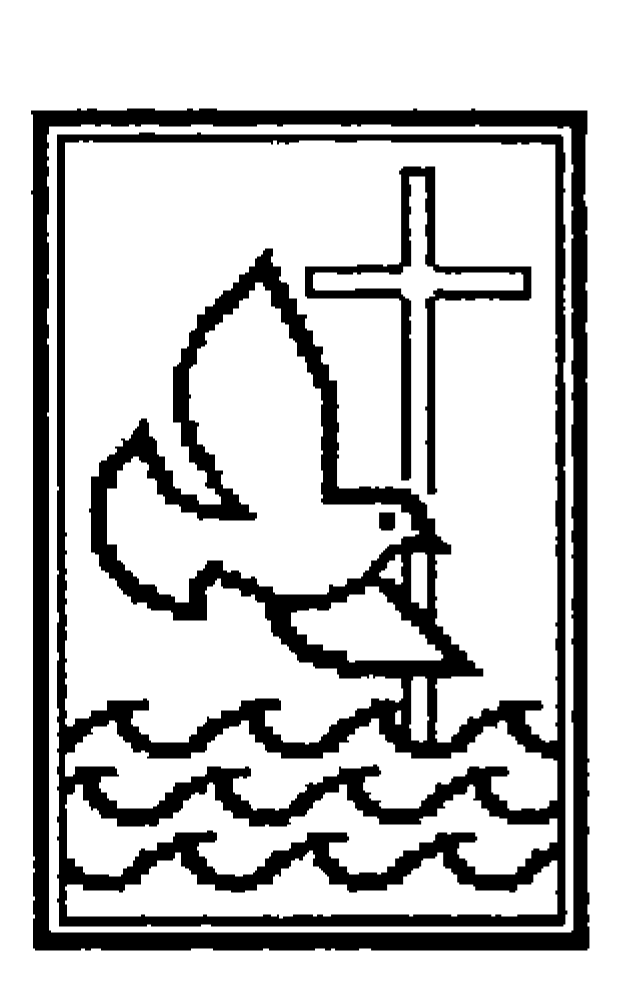
فمجالهم في البيئة وإن كان لا يحتمل تبوء مراكز قيادية من أى نوع ، إلا أنهم فى أمان من جهة تعرفهم على روح البيئات التى يعيشون فيها بسبب النور الداخلى والحرارة التى تكون لهم بمثابة مقياس أمين ثابت يقيسون عليه كل ما يعرض عليهم من المشاكل والإغراءات والمبادىء المزيفة .

هذا الصف من المسيحيين لا يقف جامداً ، لأن الروح القدس يدفعه دائماً للتحرك ويوسع أمامه دائرة خبراته بكل طريقة دون أن يشعر بالخطة الإلهية التى يدبرها الروح لملء حياته . لأن ظروفه وتحركه قد تبدو أمامه أنها ليست وفق هواه فقد يلقيه الروح فى بيئات عنيفة فى تياراتها ثم يعزله فى بيئات هادئة ثم يلقيه وسط مشاكل أعلا من قامته ، ولكن يسنده حتى يعبرها ويأخذ قوتها وهكذا ... إلى أن يتم نضجه ويتفتح وعيه الخارجى لقبول مسئولية المجتمع الخارجى ..

أما أصحاب الفئة الثالثة :

فهؤلاء هم الذين كملوا فى مدرسة النعمة بتأديباتها وآلامها ونالوا أجازة الصبر وتسليم الحياة ولهم قدرة على المسير فى الظلام كالنور ، تجدهم إزاء المخاطر والتهديدات مملوئين رجاء لا يهدأون فى سعيهم المقدس لأن العمل عندهم مصدر راحة والألم مصدر إلهام .

وعلى كتف هؤلاء يصلح أن يوضع نير المسيح بكل ثقة واطمئنان .



المسيحى فى حياته الخا صة

«وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق»(أف ٤:٢٤) .

تحدث إلينا معلمنا بولس الرسول لسان العطر عن المبادىء العامة لحياة المسيحى الخاصة ، وأنهى حديثه بخمس ثلاثيات تحوى خمس رذائل حاثاً المؤمنين على نبذها وخمس فضائل حاضاً إياها على الإستمساك بها قارناً كل حث وحض بباعث جوهرى .

١ ـ الثلاثية الأولى :

«لذلك أطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه لأننا بعضنا أعضاء بعض» (أف ٤:٢٥) .

كان جميل من معلمنا بولس الرسول أن يتوج تصرفات الإنسان الجديد بالصدق . وذلك لأنه يشتق من الحق والحق نور لا ظلمة عليه . وكما أن

النور هو أول شيء خلق فى أول يوم للخليقة الأولى . كذلك يجب أن يكون الصدق ثمرة الحياة الجديدة .

قول الصدق أسلوب من أساليب لغة المحبة . التى تسود بين أفراد المجتمع المسيحى الذى يرأسه وحجر الزاوية فيه السيد المسيح له المجد .

قول الصدق دليل على الثقة المتبادلة بين إخوة كثيرين فى المسيح يسوع ربنا . وعندئذ تختفى كلمات القسم التى يحتاج إليها أهل العالم لتعزيز كلماتهم وتصرفاتهم .

الصادق فى أقواله . واضح فى تصرفاته ، قوى فى شخصيته شجاع فى مواقفه يقول الحق ولا يخشى لومة لائم أمين فى كل ما يوكل إليه .

وعلى النقيض من ذلك الكذاب فهو ملتو ومرائى خالياً من الإخلاص والبساطة والإستقامة . وذلك فهو لا يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق فمتى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما لإبليس لأنه كذاب وأبو الكذاب .

يرتكب الإنسان إثماً فيكذب ليخفى إثمه وفعله الشائن ويحاول أيضاً أن يدفع ضرراً . أو يحصل على نفع فيكذب ليصل إلى ما تبتغيه نفسه الشريرة . ضعيف الشخصية يشعر دائماً بالخوف يطارده فى كل عمل يعمله ولذلك فهو يكذب ليحمى نفسه .

الشعور بالنقص ومحاولة الإنسان بالتظاهر بالعظمة يدفعه إلى الكذب فيتفاخر ويتباهى بما ليس فيه . وهذا النوع من الكذب كثيراً ما يقع فيه

الإنسان عندما يجالس مجموعة من المستهترين الذين يتفاخرون بمقامراتهم الشريرة فيختلق هو الآخر قصصاً ومغامرات مجاراة لهم .

وسواء أكان الدافع للكذب الخوف أو التستر أو الرياء فهو شر وخطيئة لأنه يتنافى مع الحياة الجديدة التى لنا فى المسيح .

ويقول الرسول فى موضع آخر :

«لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو ٣: ٩ ، ١٠) .

وأعلن الحكيم مقدار كره الله للكذاب بقوله : **«كراهة الرب شفتا كذب . أما العاملون بالصدق فرضاه»** (أم ١٢: ٢٢) .

وليس هناك نوعان من الكذب أحدهما أبيض والآخر أسود كما يدعى البعض ذلك لأن الخطية مظلمة ليس فيها خيط من البياض وليس الكذب هو ما كان صريحاً بل شر الكذب ما كان مموهاً بصيغة الصدق إذاً فلا تكذب لكى لا نرتكب خطية فى حق الله بإعتباره الحق وفى حق من نكذب عليه وفى حق ذواتنا المخلوقة على صورة الله ومثاله .

٢ ـ الثلاثية الثانية :

«اغضبوا ولا تخطئوا لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس

مكاناً» (أف ٤:٢٦)

الغضب انفعال طبيعي ويحدد نوعه بالباعث له وطريقته وتطوراته فإن كان الإنفعال انتصاراً لحق مهضوم . أو وقوفاً فى جانب الله فى وجه أنبياء البعل فهذا غضب مقدس .

على أنه يجب على المؤمن أن يكون حذراً لئلا يوهمه إبليس بأن غضبه مقدس ، كما يجب عليه أيضاً ألا يتجاوز حدوده فى ذلك الغضب حتى لا يرتىء فوق ما ينبغى أن يرتىء إلى التعقل .

أما إذا غضب المرء بسبب شعوره بامتهان كرامته فهذا هو الغضب الباطل لأنه يدل على أن الذات مسيطرة على الإنسان وإنها معبودة الأول والدليل على خطأ هذا الغضب تلك الكلمات الجارحة التى يتفوه بها المرء وقت الغضب فهى شر قتال فيها مرارة وسخط وصياح وتجديف مع كل خبث . كلمات تنم عن شراسة الأخلاق وتكشف عن الحقد الدفين وحب الإنتقام مثل هذا الغضب خطية لا تقل فى شناعتها عن جريمة الكذب لذلك يحذرنا السيد له المجد منها فيقول : **«كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم»** (مت ٥:٢٢) . وسليمان الحكيم ينبهنا عن مصاحبة الغضوب **«لا تستصحب غضوباً ومع رجل ساخط لا تجىء لئلا تألف طرقه وتأخذ شركاً إلى نفسك»** (أم ٢٢:٢٤) .

ولا يظن أن الغضب الباطل مصدره دائماً أفعال الآخرين الخاطئة بل هو

نقطة ضعف فينا يجب أن تعالج على ضوء أقوال الكتاب وتجارب الآباء فالإنسان الغضوب يجب أن يتروى ويفكر جيداً قبل أن يثور ثورته وكثير من الغضب وليد الإندفاع ولذلك فمعلمنا يعقوب ينصحنا بقوله : **«ليكن كل إنسان مبطئاً فى التكلم مبطئاً فى الغضب»** (يع ١:١٩) .

كما يمكن الإنتصار على الغضب بالإمتناع عن الكلام كما فعل الأنبا موسى الأسود فقد دعى مرة لمجلس الآباء فلما انعقد المجلس أرادوا أن يمتحنوه فنهروه قائلين : لماذا يأتى هذا النوبى هكذا ويجلس فى وسطنا؟ فلما سمع ذلك الكلام سكت . وعند ارفضاض المجلس قالوا له : يا أبانا لماذا لم تضطرب؟ . فأجابهم قائلاً الحق أنى اضطربت ولكنى لم أتكلم شيئاً

كن وديعاً متواضعاً مقتدياً فى ذلك برب المجد إذ يقول : **«تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم»** (مت ١١:٢٩) .

وعندئذ نتمكن من التغلب على شيطان الغضب ذلك لأن التواضع يهذب النفس ويجردها من الكرامة التى مصدرها الذات وذلك يمكنك بنعمة الرب من مقابلة الإساءة بالإحسان أو الهروب من وجه الشر .

إن سيطرت على نفسك وكبحت جماحها أمكنك أن تكون أعظم من مالك مدينة .

ومع ذلك فلو فرض أن وقعنا فى تجربة الغضب الخاطىء فلا نسير فيه

لآخر الشوط بل علينا تنفيذ قول المخلص له المجد لبطرس عندما سأله «يارب كم مرة يخطىء إليّ أخى وأنا اغفر له . هل إلى سبع مرات قال له يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات بل سبعين مرة سبع مرات إن فعلنا هذا فإن الشمس لا تغرب على غيظنا .

قال الأنبا أغاثون : «مارقدت قط وأنا حاقد على إنسان ولا تركت إنسان يرقد وهو حاقد عليّ حسب طاقتى» .

هذه هى ثمار المحبة المسيحية التى تتأنى وترفق وتحتمل كل شىء .

سأل الإخوة مرة الأنبا ايسيذورس قس الأسقيط : لماذا تفزع منك الشياطين؟ فقال لهم : لأنى منذ أن صرت راهباً حتى الآن لم أدع الغضب يجتاز حلقى إلى فوق .

٣ ـ الثلاثية الثالثة :

«لا يسرق السارق فيما بعد بل بالحرى يتعب عاملاً الصلح بيديه ليكون له أن يعطى من له احتياج» (أف ٤:٢٨) .

إن المسيحية تعلمنا ألا نكون عالة على المجتمع الذى نعيش فى وسطه بل تخلق فينا حب العمل وعدم التوانى فى تأديته فنصير جميعاً أغصاناً مثمرة تجود بثمار عمل النعمة فى حياتنا للآخرين فنشترك فى سد احتياجاتهم .

ومن الناحية الأخرى فإن الكسل والتراخى والتوانى جميعها ثغرات فى

حياة الإنسان يدخل فيها الشيطان فيؤسس أوكاره فى القلوب ولذلك قيل أن رأس الكسلان معمل للشيطان .

مضى الأب أغاثون مرة ليبيع عمل يديه فوجد إنساناً غريباً مطروحاً عليلاً وليس له من يهتم به فحمله وأجر له بيتاً وأقام معه يخدمه ويعمل بيديه ويدفع أجرة المسكن وينفق عليه مدة أربعة أشهر حتى شفى وبعد ذلك انطلق إلى البرية .

وليست السرقة قاصرة على الصورة المألوفة لكنها خطية تأخذ صوراً متعددة . فعدم إعطاء الأجير أجره المناسب لعمله وحاجياته ، وعدم تكريس العشور لله وكف اليد عن مساعدة المسكين ، وإهمال المؤمن واجباته فى عمله أو نحو المحتاجين من أهله وذويه ، وإعطاء الإنسان نفسه حق استعمال أدوات عمله فى استخدامه الشخصى كل هذه مظاهر مختلفة لخطية واحدة هى السرقة لذلك فلنحاسب أنفسنا ونحيا حياة التدقيق حتى لا نكون بعد سراق ولصوص .

٤ ـ الثلاثية الرابعة :

«لا تخرج كلمة رديئة من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كى يعطى نعمة للسامعين ولا تحزنوا الروح القدس الذى به ختمتم ليوم الفداء» (أف ٤:٢٩ ، ٣٠) .

الكلمة الردية هى الكلمة الفاسدة المجردة من النعمة الخالية من الملح .

الكلمة الردية هى الكلمة العاطلة الباطلة فهى ليست مقصورة على الأشياء التى لا خير فيها لكنها تتناول الأشياء المفعمة شراً . الكلمة الردية تشمل جميع خطايا اللسان وهى كثيرة : الكذب ، الحلف ، النميمة ، الشتيمة ، شهادة الزور ، كلام الهزل ، التملق ، التذمر .

ومن فضلة القلب يتكلم اللسان والرجل الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصالحات والرجل الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشرور - كف عن الكلام الكثير لتصون لسانك عن قول الشر .

سئل شيخ من أحد الإخوة : ما هى فلاحة النفس لتثمر ؟ فقال له : السكوت والإمساك وتعب الجسد والصلاة الدائمة ... وأيضاً أخبروا عن الأنبا أغاثون أنه وضع فى فمه حجر ثلاثة سنين حتى اتقن السكوت .

كم جميلاً بالإنسان أن يحصى فى نهاية كل يوم الكلمات التى خرجت من فمه ويقسمها إلى نوعين : كلمات رديئة وكلمات صالحة .

عندئذ يمكنه بنعمة الرب التحكم فيما ينطق به لسانه فلا يخرج من فمه إلا كل ما هو صالح للبنيان .

الكلام الصالح يصفه معلمنا بولس الرسول وصفاً رباعياً فهو صالح فى طبيعته - بناء فى عمله - حسب الحاجة فى مناسبته ، خادماً للنعمة فى خدمته.

والكلمة الرديئة لا يقع ضررها على السامع والمتكلم فحسب لكنها تسبب أيضاً حزناً للروح القدس الحال فى جماعة المؤمنين وفى قلوبهم إذ يستمع

لكل كلمة تخرج من أفواههم .

لذلك يجدر بنا كمؤمنين أن نقدر شعور الروح القدس الذى له مديونون بختمه إيانا ليوم الفداء فلا نحزنه بل نجعله دائماً فرحاً متهللاً يعمل فينا وبنا .

٥ ـ الثلاثية الخامسة :

«ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح» (أف ٣١ ، ٣٢) .

هذه الأخوات الست «المرارة والسخط والغضب والصياح والتجديف والخبث» قد تتفاوت فى شدتها وشناعتها لكنها كلها مظاهر منوعة لجوهر واحد هو الإنسان العتيق الذى ليست له معرفة بالمسيح يسوع ربنا .

هذه الأخوات الست إن اتصف بها إنسان دل ذلك على أنه ليس من جماعة المؤمنين لأن هذه الجماعة ترتبط قلوب أفرادها بعضها ببعض برباط المحبة التى قيل فيها أن : **«تتأنى وترفق لا تحسد ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق»** (كو ١٣: ٤ ـ ٦) .

إذا سادت المحبة مجتمعنا أصبحنا أخوة فى المسيح يسوع ربنا . ومن صفات الإخوة الصادقة الطف فى الشعور والكلام والشفقة الصادرة عن

عاطفة قلبية مباركة مقدسة والتسامح كما سامحنا الله أيضاً فى المسيح يسوع ربنا وينطوى التسامح على معنى التبادل فإن من يغفر اليوم قد يكون غداً مسيئاً فيحتاج إلى من يصفح عنه كما صفح هو بالأمس .

وختام الأمر كله إن الأساس الذى يجب على المسيحى أن يبنى عليه حياته الخاصة هو المحبة التى تستمد كيانها من الله .

فإن أحببنا بعضنا بعضاً اختفت من حياتنا الخاصة جميع الرذائل بأنواعها وأشكالها وتجلت فينا أزهار المحبة اليانعة وثمرها الناضجة ونصير بحق أغصاناً مثمرة فى كرمة الرب يسوع المسيح ونصير أيضاً رائحته الذكية .

الذى له المجد الدائم إلى الأبد آمين .



الفصل التاسع

فرح المسيحى

إن الأسباب التى تدعو المسيحي للفرح - وأقصد بالمسيحى هنا المسيحى الحقيقى البار ، أى المسيحى الذى هو فى حال النعمة - هى من الكثرة بحيث يصعب حصرها . غير أن أول هذه الأسباب هو دون شك ، وجود المسيحى فى حال النعمة ، أى نعمة الله ، وهو ما يعادل محبة الله ، التى **«أفضيت فى قلوبنا بالروح القدس ، الذى أعطى لنا»** (رو ٥:٥) .

وعليه فإن كل من كان فى حالة النعمة والبرارة ، كان من حقه أن يفرح بالرب ، كما فرحت من قبل العذراء القديسة مريم ، قائلة : **«تعظم نفسى الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصى»** (لو ١:٤٦ ، ٤٧) ، وكما فرح ويفرح الأبرار ، فى كل مكان وزمان . إذ إلى مثل هذا الفرح يدعوهم الروح القدس ، بلسان النبى المرتل ، قائلاً : **«ليفرح الصديقون ، ويتهللوا أمام الله ، وليسروا فرحاً»** (مز ٦٧:٤) وإلى مثل هذا الفرح يدعو الرسول أيضاً المسيحيين ، بإعتبارهم أبراراً وقديسين ، قائلاً : **«افرحوا فى الرب ، كل**

حين ، وأقول أيضاً افرحوا» (فى ٤:٤) .

ولا غرو ، أن يكون المسيحى فرحاً على الدوام ، وفى كل حين ، لأن ملكوت الله ، الذى هو عضو حى فيه ، هو ملكوت بر وسلام وفرح فى **«روح المسيح»** (١بط ١١:١) الروح القدس . ولذا يقول الرسول بولس : **«إن ملكوت الله ليس أكلاً ولا شرباً ، بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس»** (رو ١٧:١٤) .

ولما كان فرح البار فرحاً صادقاً ، والفرح الصادق لا يعكر صفوه شىء . لذا كان لا غرابة أن يفرح البار ، وإن منى بالفشل أحياناً . لأنه لا يطلب نفسه فى كل أعماله ومساعيه ، بل الله وحده . وهو يفعل دوماً ما يرضى الآب السماوى ، لاما يرضى نفسه ، على مثال البار الأكبر ، الذى منه تتدفق كل برارة وقداسة ، يسوع المسيح ، القائل :

«إنى أفعل ما يرضيه كل حين» (يو ٢٩:٨) من أجل ذلك ، يتغنى النبى المرتل ، قائلاً : **«ليسر بك جميع الذين يلتمسونك ويفرحوا . وليقل فى كل حين محبو خلاصك . تعظم الرب»** (مز ١٧:٣٩) .

ثم إن المسيح البار يفرح ، ولا يعكر صفو فرحه شىء ، لأنه يتطلع إلى مستقبله : مستقبله لا القريب ، بل البعيد . مستقبله لا فى هذه الدنيا ، بل فى الآخرة ، مطمئناً متفائلاً ، ليقينه الأدبى بأن نفسه لن يمسها فى النهاية عذاب : **«أما نفوس الصديقين فهى بيد الله ، فلا يمسها**

العذاب» (حك ٣:١) .

أكثر من ذلك يتطلع البار إلى مستقبله ، **«فإذا هو مشرق كالشمس فى ملكوت أبيهم»** (مت ١٣:٤٣) . وقد جاء فى سفر الحكمة : **«فهم** (أى الصديقون) **فى وقت افتقادهم يتلألأون ويسعون سعى الشرار بين القصب . ويدينون الأمم ويتسلطون على الشعوب ، ويملك ربهم إلى الأبد»** (حك ٣:٧ ، ٨) . إلا أن المسيحى الحقيقى البار يفرح ، لا فى السراء فحسب ، بل وفى الضراء أيضاً ، على مثال الرسل الأطهار ، الذين **«خرجوا من وجه المحفل فرحين بأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا لأجل اسم يسوع»** (أع ٥:٤١) .

وعلى مثال ذلك الرسول بولس ، القائل : **«إنى أفرح الآن بالآلام من أجلكم ، وأتم ما ينقص من شدائد المسيح فى جسمى ، لأجل جسده الذى هو الكنيسة»** (كو ١:٢٤) .

والسبب كما هو واضح من النصوص المذكورة ، لأن المسيحى يعرف كيف يزن آلامه بميزان فائق الطبيعة : فهو لا يتألم عبثاً ، بل دوماً لغاية سامية شريفة ، قد تكون الشهادة للمسيح ، كما فى حادث الرسل . أو إتمام ما ينقص من شدائد المسيح ، لصالح جسد المسيح السرى ، أى الكنيسة ، كما فى حادث الرسول بولس .

أسباب أخرى تدعو المسيحى إلى الفرح فى الإضطهاد وإبان الشدائد ،

هى البر والإستقامة وحب المسيح الفادى ... والمسيح نفسه هو الذى يدعونا أن نفرح فى مثل تلك الظروف القاسية ، حيث يقول : **«طوبى للمضطهدين من أجل البر ... طوبى لكم إذا عيروكم واضطهدوكم وقالوا عليكم كل كلمة سوء من أجلى كاذبين . افرحوا وابتهجوا فإن أجركم عظيم فى السموات»** (مت ٥:١٠ ـ ١٢) .

إلا أن فرح المسيحى بأن يدعى ويكون ابناً لله ، ووارثاً له تعالى ، ووارثاً مع المسيح (راجع ١يو ٣:١؛ رو ٨:١٧) ، ومن ثم بأن يكون اسمه مكتوباً فى السموات ، لا يجب أن يعادله فرح . إذ معنى أن يكون اسم المسيحى مكتوباً فى السموات ، أنه أعطى أعظم عربون للحياة الأبدية الخالدة : حياة الحب الكامل ، والسعادة كل السعادة ، السلام الذى ليس بعده سلام ، فى شركة كاملة ودائمة مع الله وكل ملائكته وقديسيه .



عظمة المسيحى ورسالته

إن رسالة الأنبياء جميعها يمكن تلخيصها فى كلمتين :

تقويم إعوجاج أمة اليهود ، وحث الشعب على الرجاء ، وإعداده لقبول المسيح المخلص .

وقد قام يوحنا المعمدان بهذه الرسالة المزدوجة خير قيام . ولا سيما إن نظام حياته الصارم ، وتقشفاته غير العادية أكسبته سلطاناً على الشعب ، قلما نجد له نظيراً بين الأنبياء : فرد العصاة إلى حكمة الأبرار ، وأعد للرب شعباً كاملاً (لو ١:١٧) .

وهو الذى كان يردد منادياً على رؤوس الملأ شهادته ليسوع : **«وأنا عاينت وشهدت أن هذا هو ابن الله»** (يو ١:٣٤) .

وقد مدح يسوع غيرة السابق ونجاح رسالته بقوله : **«ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يغصب ، والغاصبون**

يختطفونه» (مت ١١:١٢) .

أما رسالة المسيحى فتفوق رسالة يوحنا المعمدان ، لأنها لا تختلف فى جوهرها عن رسالة الكنيسة ، ألا وهى تقديس النفوس .

ويقوم المسيحى بهذه الرسالة النبيلة ، والمهمة الجليلة ، بقوة «كلمة الحق» أى بتعاليم الإنجيل المقدسة . تلك التعاليم التى متى سرنا بمقتضاها بلغنا أسمى درجات الكمال والقداسة ، وعملنا فى الوقت نفسه على تقديس القريب ، الذى إذ يرى أعمالنا الصالحة ينقاد بأكثر جاذبية لقبول هذه الكلمة ، ويمجد الله أبانا السماوى .

ولكن ، هل معنى ذلك أن رسالة المسيحى العلمانى تقوم فقط بتقديس نفسه بالمحافظة على تعاليم الإنجيل ، وتقديس غيره بمثله وقدرته الصالحة؟ ... كلا ، بالطبع . ذلك لأنه لما كانت رسالة المسيحى العلمانى هى جزء متمم لرسالة الكنيسة ، وجب عليه أن يكون بقدر طاقته معاوناً لرجال الإكليروس فى نشر الحق (٣ يو ١:٨) أى الإنجيل بالتبشير أيضاً .

هذا ويحلو لنا فى هذا المقام أن نذكر من الهبات المقدسة ، التى منحت للمسيحى ، هبة الهبات ، ألا وأعنى بذلك : القربان المقدس ، ذلك السر الذى بواسطته نتحد بيسوع المسيح ، والنعمة والمجد وكل موهبة صالحة ، إتحاداً حقيقياً سامياً ليس بعده إتحاد

هذه هى الغبطة وذلك هو الشرف اللذان يحق للمسيحى أن يفتخر بهما

على الدوام : غبطة وشرف لم يخط بهما ، لا يوحنا المعمدان ، ولا أحد من الأولين على الإطلاق .

وحيث إن عظمة المسيحى وقوته الحقيقية ، هى فى إتحاده بيسوع المسيح فى سر التناول ، فغنى عن البيان أننا من غير هذا نشبه جنوداً عزلاً ، وقفوا فى مقدمة الصفوف دون ما سلاح فى أيديهم !

إذ كيف نستطيع أن نحمل صليبنا ، كل يوم ، ونتبع المسيح دون أن نتغذى بالقوت الروحى ، قوت الأقوياء ، الخبز الواهب الحياة للعالم؟ فقد قال لاسمه السجود بصريح العبارة **«من أراد أن يتبعنى ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى»** (لو ٩:٢٣) .

وخلاصة القول إن الذين يهملون الإشتراك فى جسد الرب ودمه الكريم ، هؤلاء بالحقيقة ليسوا على شيء من عظمة أبناء الملكوت ، المختارين للسعادة الأبدية ، بل وأمثال هؤلاء المسيحيين يعرضون ، ولاشك ، أنفسهم لخطر هلاك مبين .

أما اعتراض البعض بأنهم على غير استحقاق لقبول هذا السر ، فهذه حجة واهية ، إذ لا يوجد بين خلق الله من هو مستحق ، بحصر القول ، لقبول مثل هذا السر العظيم .

كقول معلمنا لوقا الإنجيلى : **«كذلك أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون . لأننا إنما عملنا ما كان**

يجب علينا» (لو ٧:١٠) .

كما وأنه لا عذر حقيقي يمكنه أن يعفى الإنسان من أن يكون على الدوام ، في حال النعمة والبرارة ، تلك الحال التى لابد منها للتناول باستحقاق . وفى متناول أيدينا سر التوبة .

وبالإيجاز فإن المسيحى الذى يختلق الأعذار ، ليتهرب من سر التناول المقدس ، هو إنسان قد خان دعوته والرسالة السامية التى أؤتمن عليها . ولذا فلا نصيب له مع يسوع المسيح .

وهو فى اعتبار الله كالميت ، ولا يرجى منه فائدة . قال الرب يسوع : **«الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم»** (يو ٦:٥٣) .

لنستخلص الآن نتيجة ما تقدم : إن المسيحى الحقيقى هو من يجد فى إقتفاء آثار المسيح معلمه ومخلصه يتخلق بأخلاقه ، ويتبع وصاياه .

إن مثل هذا المسيحى هو عظيم حقاً .

وهو عظيم فى الواقع : لأنه عضو حى فى جسم المسيح السرى ، ولأن دعوته إلى المسيحية تؤهله ، لا للقيام بأعظم أعمال الغيرة الرسولية فحسب، بل ولقبول كل المواهب والنعم الروحية الممكنة ، التى ترتفع به إلى أسمى درجات الكمال أيضاً .

أخيراً فإن مثل هذا المسيحى عظيم لأنه باتحاده المتواصل بيسوع المسيح ، فى سر التناول المقدس ، يصبح صورة حية للسيد المسيح ، فيمجد الله ويبنى قريبه بمثله الصالح ، وبعد جهاد لا يدوم طويلاً ، يذهب ليملك مع المسيح مخلصه وفاديه إلى أبد الآبدين ، آمين .



أهم مراجع الكتاب

١ ـ الكتاب المقدس

٢ ـ قاموس الكتاب المقدس

٣ ـ جريدة وطنى — لقداسة البابا شنودة الثالث

٤ ـ مجلة مدارس الأحد — لنيافة الأنبا غريغوريوس

٥ ـ مجلة القرى المجاورة — المؤلف

٦ ـ تفسير الأناجيل المقدسة جـ١ ، جـ٢ — للأب لويس برسوم الفرنسيسكانى

٧ ـ السلوك المسيحى وتحديات العصر — بقلم الدكتور القس صموئيل حبيب

٨ ـ المسيحى فى المجتمع — أعضاء بيت التكريس بحلوان

٩ ـ رسالة المحبة — بقلم الأستاذ غطاس بشارة

١٠ ـ رسالة المحبة — بقلم الأستاذ أثناسيوس بولس

١١ ـ رسالة المحبة — بقلم الأستاذ نوس صادق المحامى

فهرست الكتاب

صفحة

المسيحى

ين مسيحيين أول مرة فى إنطاكية (أع ١١ : ٢٦) نحو سنة ٤٢، ٤٣، ويرجح أن ذلك اللقب كان فى الأول شتيمة (١بط ٤ : ١٦) «ولكن إن كان كمسيحى فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل» قال المؤرخ تاسيتس (المولود نحو ٥٤م) أن تابعى المسيح كانوا أناساً محتقرين عاميين ولما قال أغريباس لبولس «بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً» (أع ٢٦ : ٢٨) فالراجح أنه أراد أن حَسُنَ برهانك كان يجعلنى أرضى بأن أعاب بهذا الاسم. وقد شاع بمعنيين :

١ - المقر بالديانة المسيحية.

٢ - المؤمن الحقيقى القلبى.

وقد امتد المسيحيون إلى كل أقطار فصار عددهم الآن نحو مليار من الجنس

مكتبة المحبة :
٣٠ شارع شبرا - القاهرة ت وفاكس : ٥٧٥ ٩٢٤٤ (٢٠٢)
تليفون : ٥٧٥ ٨٢٦٢ (٢٠٢) - ٥٧٨ ٢٩٣٢ (٢٠٢)